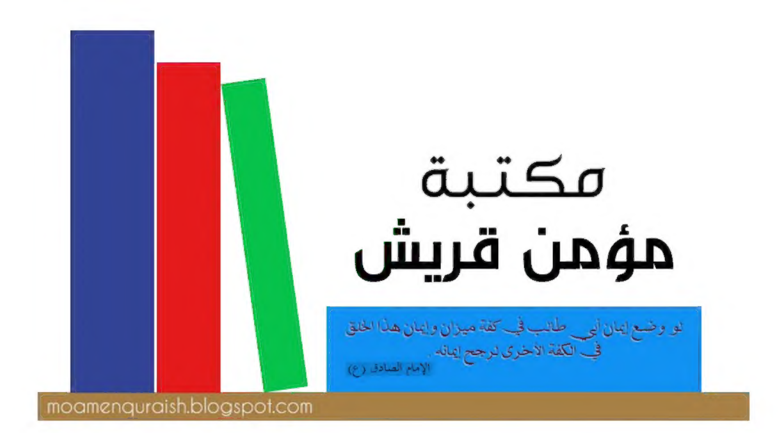


الشهيرة بنت الهدى
سيرتها و مسيرتها

تأليف

الشيخ محمد رضا النعماني


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه.
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com

الشهيدة بنت الهدى

سيرتها ومسيرتها

نعمانی، محمدرضا ، ١٣٣٤ -
الشهیده بنت الهدی سیرتها و مسیرتها /
المولف محمدضا النعمانی.— قم: موسسه
اسماعیلیان، ١٤٢٠اق. = ٢٠٠٠م. = ١٣٧٨.
١٦٣ ص.: نمونه.
ISBN 964-6397-14-x: ٦٠٠٠ ریال
فهرستنویسی براساس اطلاعات فیپا.
عربی.
١.صدر، بنت الهدی، ١٩٣٩ - ١٩٧٩ --
سرگذشتنامه. الف.عنوان.

BP٥٢/٥٥/ن٧ع٤ص ٢٩٧/٩٧٩

کتابخانه‌ملی‌ایران ٧٨-١٩٣٦٧م

اسم الكتاب: .... الشهيدة بنت الهدى سيرتها و مسيرتها

المؤلف: .... الشيخ محمد رضا النعماني

الناشر: .... مؤسسة اسماعيليان

تاريخ النشر: .... ١٣٧٨ هـ.ش - ١٤٢٠ هـ.ق

المطبعة و التجليد: .... اسماعيليان

الطبعة: .... الاولى

عددالمطبوع: .... ٣٠٠٠ مجلد

القطع و عددالصفحات: .... رقعى - ١٦٣ صفحة

تنضيد الحروف و الاخراج الفني: .... سيد كرار تاج الدين

شابک: ٩٦٤-٦٣٩٧-١٤-X *ISBN:964-6397-14-X*

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولا تَحْسَبنَّ الّذينَ قُتِلوا في سَبيلِ اللهِ أمْواتاً بَلْ أحياءٌ عِنْدَ رَبِّهمْ يُرزَقُوْن * فرحين بما ءآتَـهُمُ اللهُ مِنْ فضله ويَستبشِرونَ بالذينَ لَم يَلحَقوا بهم مِن خَلفِهم ألا خوفٌ عليهم ولا هُم يَحزَنونْ * يَستبشُرونَ بنعمةٍ مِنَ اللهِ وفضلٍ وأنَّ اللهَ لا يُضيعُ أجر المؤمنين ﴾

سورة آل عمران : ١٦٩ ـ ١٧١

الفهرس

معالم ومحطات في حياتها وسيرتها

جهادها الثقافي والتبليغي

مسيرتها الجهادية

مواقف خالدة للشهيدة بنت الهدى

شهادتها ودفنها

الإهداء

سيدي أبا جعفر :
هذه السيرة العطرة
وهذه الصفحات المشرقة
بألوانٍ من القيم والمبادئ
وهذه المسيرة الشاقة في الجهاد
والتضحية والمواقف البطولية
هذه سيرةُ من وَقَفتَ معها في
يتمها وطفولتها ،
فوقفت معكَ في أيام وحدتك وغربتك ومحنتك
حتى تضرجت بدمها مع دمك
إلى روحِكَ الهدي ثواب كتابة سيرة أُختك .

تقديم قيّم وكلمة ثمينة حول هذا الكتاب تفضّل بها مشكوراً سماحة حجة الإسلام والمسلمين السيد حسين الصدر ـ حفظه الله ـ.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين، نحمده في السراء والضراء وحين البأس، والصلاة والسلام علىٰ قائد البشرية الصالحة محمّد وعلى الهداة الميامين من آله الطاهرين.

وبعد:

ليس ثمة من شك في أنَّ شخصيّة رسالية استثنائية كبرىٰ، كشخصية العالمة المجاهدة الشهيدة «بنت الهدىٰ» ـ رضوان الله عليها ـ جديرة بأن يعكف الباحثون علىٰ دراستها ليسلطوا الاضواء علىٰ مواطن إبداعاتها الفكرية والثقافية والأدبية، وليستلهموا سيرتها المشرقة، وأعمالها الخالدة، وفتوحاتها الجهادية والتربوية، وعطاءاتها الروحية والعقائدية، التي استطاعت معها أنْ تكسر كلَّ الحواجز وتحتل موقعها المتميز في وجدان الأُمة، كاروع ما تكون عليه الرائدة الرسالية مكانةً وشموخاً ونفاذاً الى العقول والقلوب.

ومن هنا صدق علىٰ كتاب سماحة الشيخ محمد رضا النعماني ـ حفظه الله ـ الموسوم بـ(الشهيدة بنت الهدى سيرتها ومسيرتها) قول الفقهاء: (صدر من أهله ووقع في محلّه).

ومَـنْ أولىٰ مـنه وهـو العـارف بـالكثير الكـثير مـن الأسـرار والخصوصيات بحكم معايشته الدقيقة لكل فصول المحنة الرهيبة التي عاشها المرجع الإسلامي الكبير سيّدنا الإمام الشهيد الصدر ـ قدس الله سرّه الشريف ـ وعاشتها معه شقيقته المجاهدة المظلومة (الشهيدة بنت الهدىٰ) وكل فرد من أفراد أسرته الكريمة.

وإذا كانت الثـورة الإسـلامية فـي العـراق قـد ارتـبطت بـفكر الإمام الشهيد الصدر ودمه، فإن النـهضة النسـوية الإسـلامية فـي العـراق ارتـبطت بشـقيقته الشـهيدة (بـنت الهـدىٰ) فـلقد كـانت المحور الفاعل في إحداث النقلة النوعية في واقع المرأة المسـلمة العراقية.

لقد كانت العالمة المجاهدة (بنت الهدىٰ) رائدة فكـر، ومـعلمة جيل، وصانعة وعي، ومصدر اشعاع وعطاء، وعمل صالح، وبناء روحي وعقائدي مـتين، لا بـتدريسها ونـدواتـها ومـحاضراتـها فحسب، بـل بكـتبها واخـلاقيتها الفـريدة فـي احـتضان النسـاء ورعـايتهن، واشـباع حـاجاتهن الديـنية والفكـرية والروحـية، وتكريس المفاهيم الإسلامية والأحكام الشرعية في وجـدانـهن، فكانت بحق النبراس والمشـعل والقـدوة والنـبع الدفـاق بـالخير والنور.

قلت للسيّدة: (Jouce N. wiley) مؤلّفة كتاب:

(The Islamic Movenent Or Iraqi Shias) حـين طـلبت لقـاءً

خاصاً لتطرح علينا اسئلتها الخاصة عن الشهيدة بنت الهدىٰ ـ وهي عاكفة علىٰ إعداد دراسة أكاديمية عنها ـ:

الدليل على عمق تأثيرها في المجتمع انها كانت تختار في قصصها (أسماء) معينة تسند إليهم مواقف شريفة فتنشر تلك الأسماء بسرعة، وتكون صدىً للتأثر بكتاباتها من قبيل (نقاء) و(حسنات).

استطاعت آمنة الصدر ـ سليلة الفقهاء العمالقة ووريثة الأمجاد الصدرية ـ أن تنطلق من بيتها المضمخ بأنفاس العلم والتقوىٰ، وتنهل من ينابيع أخيها الأكبر آية الله السيد إسماعيل الصدر ﴿رحمه الله﴾ وأخيها الإمام الشهيد الصدر، الذي رعاها أكبر رعاية، واختصر لها المسافات وقدّم لها اللباب في كل باب احتاجته، كل ذلك مع ما اوتيتْ من رفاهة حس، وتوقد ذكاء، وحسن استعداد، وصفاء نفس، ومواهب فريدة، ومواكبة للمستجدات، فكانت الحصيلة عظيمة باهرة...

لقد ازدحمت علىٰ بابها الجامعيات وكبار المثقفات، يلتقفن بشغف ما تلقيه عليهن.

إنها القديسة الكبيرة والمجاهدة العظيمة التي آثرت أنْ تريق آخر قطرة من دمها الزكي انتصاراً لإسلامها العظيم، وشعبها المظلوم، وأخيها حامل الهموم، والناهض بأعباء المواجهة الساخنة لأعداء الله من العفالقة الأوغاد الذين هالهم أمر هذا الثائر

الحسيني الذي ركل بقدميه كلّ بهارج الدنيا وأصرَّ على الشهادة في الملتقى الصعب، إيماناً منه بأنّ دمه سيكون البركان الذي لابدّ أن ينفجر ليزلزل الأرض بالطواغيت و(بنت الهدىٰ) شريكته في نهضته ووقفته.

وإذا كان الأمويون ـ علىٰ خستهم ونذالتهم ـ قد احجموا عن اغتيال الحوراء زينب عليها السلام في كربلاء، فإنّ صدام وزبانيته لم يغمض لهم جفن حتىٰ اغتالوا (زينب العصر) بنت الهدىٰ بعد فصول من التعذيب لا تقوى الحروف علىٰ وصفها.

بنت الهدىٰ فتشت عن (زينبٍ) فلم أَجدْ غيرك بين النساء
آمالها كنتِ وآلامها وصبرها المدير في الابتلاء
استغفر الله فلم يقتلوا (زينبَ) واغتالوك في كربلاء[١]

إن في هذا الكتاب محطات كثيرة لابدّ أن يقف عندها القارىء، لا ليوسع من آفاق معرفته بالشهيدة العظيمة (بنت الهدىٰ) وخصائصها الأخلاقية النادرة، ومواقفها الجهادية الباهرة فحسب، بل ليشكر المؤلّف علىٰ تتبعه واستقصائه للمفردات والخواطر، الأمر الذي جعل هذه الدراسة متميزة عن كل ما كُتب حتى الآن عن شهيدتنا الغالية.

---

(١) من مرثية لنا للإمام الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ في الذكرى السنوية الأُولى لاستشهاده.

ولا يسعني في الختام إلّا أن اسجل الثناء والتقدير لعزيزنا الشيخ النعماني علىٰ ما بذله من جهد في كتابه النفيس هذا، ضارعاً إليه سبحانه أن يتولاه برعايته وعنايته، ويجزيه عنّا أحسن الجزاء انه سميع مجيب.

حسين الصدر

٢٧ رجب ١٤١٨ هـ

٢٨ /١١/١٩٩٧م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين نحمده في السراء والضراء وحين البأس، والصلاة والسلام على قائد البشرية الحاكم محمد وعلى الهداة الميامين من آله الطاهرين

وبعد:-

ليس ثمة من شك في أن شخصية رسالية استثنائية كبرى كشخصية العالمة المجاهدة الشهيدة (بنت الهدى) - رضوان الله عليها - جديرة بأن يعكف الباحثون على دراستها ليسلطوا الأضواء على جوانب إبداعاتها الفكرية والثقافية والأدبية، وليستلهموا سيرتها المشرقة وأعمالها الخالدة، وفتوحاتها الجهادية والتربوية، وعطاءاتها الروحية والعقائدية، التي استطاعت معها أن تكسر كل الحواجز وتحتل موقعها المتميز في وجدان الأمة، كأروع ما يكون عليه الرائد الرسالي مكانة وسموها ونفاذا إلى العقول والقلوب.

ومن هنا صدق على كتاب سماحة الأخ العلامة المجاهد الشيخ محمد رضا النعماني - حفظه الله تعالى - الموسوم بـ (حياة الشهيدة بنت الهدى) قول الفقهاء:

(صدر من أهله ووقع في محله)

ومن أدرى منه - وهو العارف بالكثير الكثير من الأسرار والخصوصيات - بحكم معايشته الدقيقة لكل فصول المحنة الرهيبة التي عاشها المرجع الإسلامي الكبير سيدنا الإمام الشهيد الصدر - قدس الله سره الشريف - وعاشتها معه شقيقته المجاهدة المظلومة (الشهيدة بنت الهدى)، وكل فرد من أفراد أسرته الكريمة.

وإذا كانت الثورة الإسلامية في العراق قد ارتبطت بفكر الإمام الشهيد الصدر (رحمه الله) فإن النهضة النسوية الإسلامية في العراق ارتبطت بشقيقته الشهيدة (بنت الهدى) فلقد كانت المحور الفاعل في إحداث التحول النوعي في واقع المرأة المسلمة العراقية.

لقد كانت العالمة المجاهدة (بنت الهدى) رائدة فكر، ومعلمة جيل، وصانعة وعي، ومصدر إشعاع وعطاء، وعمل صالح، ونبع روحي وعقائدي متميز لا تبديل

وندواتها ومحاضراتها فحسب، بل بكتبها وأخلاقيتها الفريدة في احتضان بنات ورعايتهن، وإشاعة مفاهيم الدينية والفكرية والروحية، وتكريس المفاهيم الإسلامية والأحكام الشرعية في وجدانهن، فكانت بحق النبراس والمشعل والقدوة والشمع الوقّاد بالخير والنور.

قالت السيدة (Joyce N. Wiley) مؤلفة كتاب:

The Islamic Movement of Iraqi Shi'as

- حتى طلبت لقاءً خاصًا لتطرح علينا أسئلتها الخاصة عن الشهيدة بنت الهدى — وهي بمناسبة عن إعداد دراسة أكاديمية عنها —.

الذي يعلم عمق تأثيرها في المجتمع أنها كانت تكتب بأسماء في قصص (أسماء) معيّنة تسند إليهم مواقف شريفة، فتنتشر تلك الأسماء سريعة، وتكون صدىً للتأثر بكتاباتها من قبيل (نقاء) و(حسنات)...

استطاعت (آمنة الصدر) — سليلة الأسرة العاملة ووريثة الأمجاد الصدرية — أن تنطلق من بيئة المنفتح كتابًا على العلم والتقوى، وتنهل من ينابيع أخيها الأكبر آية الله السيد إسماعيل الصدر — قدس سره —، ثم أخيها الإمام الشهيد الصدر، الذي رعاها أكبر رعاية، واختصر لها المسافات وقدم لها اللباب في كل باب احتاجته، كل ذلك مع ما وهبت من رهافة حس، وتوقد ذكاء، وحسن استعداد، وصفاء نفس، ومواهب فريدة، ومواكبة للمستجدات بحالات الحسينية بطريقة باهرة..

لقد ازدحمت على بابها الجامعيات وربات المثقفات، يتلقفن بشغف ما تلقيه عليهن.

أما القديسة الكبيرة والمجاهدة العظيمة التي آثرت أن تريق آخر قطرة من دمها الزكي انتصارًا للإسلام العظيم، وشجبًا للمظلوم، مؤثرةً حياة الصمود، والنهوض بأعباء المواجهة الرافضة لأعداء الله من العفالقة الأوغاد الذين ... فهي صاحبة أمر هذا الثائر الحسيني الذي ركل بقدميه كل بهارج الدنيا وأصرّ على الشهادة في المنتقم الصعب، إيمانًا منه بأن دمه سيكون البركان الذي لا بد أن ينفجر ليزلزل الأرض بالطواغيت

(وبنت الهدى) شريكته في محنته ووقفته.

وإذا كان الأمويون -على خستهم ونذالتهم- قد أحجموا عن التعرض للحوراء زينب -عليها السلام- في كربلاء، فإن صدام وزبانيته لم يغمض لهم جفن حتى اغتالوا "زينب العصر" بنت الهدى، بعد صنوف من ألوان التعذيب لا تقوى الحروف على وصفه.

أبنتَ الهدى فتشتُ عن (زينبٍ) فلم أجدْ غيرَكِ بين النساءْ

آمالها كنتِ وآلامها وصبرَها المريرَ في الابتلاءْ

أستغفر الله فلم يقتلوا (زينبَ) واغتالوكِ في كربلاءْ *

هناك في هذا الكتاب جوانب كثيرة جديرة أن يقف عندها القارئ، لا ليتوسع من آفاق معرفته بالشهيدة العظيمة (بنت الهدى) وخصائصها الأخلاقية النادرة، ومواقفها الجهادية الباهرة فحسب، بل ليشكر المؤلف على تتبعه واستقصائه للمفردات والخواطر، الأمر الذي جعل هذه الدراسة متميزة عن كل ما كتب حتى الآن عن شهيدتنا الغالية.

ولا يسعني في الختام إلا أن أسجل الشكر والتقدير لعزيزنا العلامة النعماني على ما بذله من جهد في كتابه النفيس هذا، ضارعاً إليه سبحانه أن يتولاه برعايته وعنايته، ويجزيه عنا أحسن الجزاء، إنه سميع الدعاء.

حسين الصدر

27 رجب 1418

28/11/1997م

لندن

---

* من مرثية لنا للإمام الشهيد الصدر رضوان الله عليه في الذكرى السنوية الأولى لاستشهاده.



المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين والصلاة والسلام علىٰ سيّدنا ونبينا محمّد وآله الطاهرين.

ليس من السهل أن نتحدث عن السيّدة الشهيدة آمنة الصدر (بنت الهدىٰ) سليلة الدوحة المحمّدية بما تمتلك من خصائص جعلتها تتجاوز عصرها ومجتمعها لتكون ظاهرة استثنائية فيما نعرف من مقاييس التقييم المألوفة.

وحينما أقول إن بنت الهدىٰ (ظاهرة) لا أعني لوناً من الإحترام والإعتزاز والوفاء لشهيدة العصر، حفزني عليه ما أحمل لها في نفسي من احترام وتقدير، ومعرفة تكاد تكون تفصيلية ـ في حدود معايشتي ـ لمختلف جوانب حياتها، وخاصة همومها الإسلامية، ووعيها المتميز، وإدراكها الدقيق لكل فصول الصراع والمواجهة بين السلطة البعثية والمرجعية الدينية إدراكاً واعياً سبقت به كيانات كانت تعتبر رائدة في هذا المجال. إن مسيرة الشهيدة بنت الهدىٰ تؤكد تلك الحقيقة بما لا يدع مجالاً للشك فهي تشبه أخاها في أنها عاشت في زمان غير زمانها وبيئة غير بيئتها ومجتمع لم يقدّر أهمية

هذه الشخصية الفذة في تاريخنا المعاصر.

إنها (ظاهرة) في سلوكها الشخصي وأخلاقها الفريدة التي يشعر كل من يعرفها بإنها بعيدة عن الرياء والتصنع.

(وظاهرة) في تفانيها لأجل دينها وأهدافها الإسلامية التي جعلتها تعزف عن الكثير من حقوقها في الحياة ومنها حق الزواج، وتفضّل حياة العزوبة التي وفرت لها المزيد من التفرغ للعمل من أجل خدمة إسلامها العظيم.

(وظاهرة) في جهادها بمختلف أشكاله والوانه، قولاً، وكتابة، ومواجهة للسلطة.

(وظاهرة) في التصميم علىٰ إكمال المسيرة حتى الاستشهاد في سبيل الله عزّوجلّ.

وهذه المذكرات البسيطة لا ترتفع إلىٰ مستوىٰ اداء حق الشهيدة بنت الهدىٰ وإنّما فقط اداء بعض حقها، فلقد ظُلمت بنت الهدىٰ كما ظُلم أخوها، وضاع الكثير من تاريخها ـ وللأسف الشديد ـ في مجتمع ما قدّرها حق قدرها، وما وفىٰ لها ببعض حقها. سجلتها لِما للشهيدة من حق عليَّ، ولتكون كذلك نهجاً ودرساً وقدوة لمن يريد أن ينهج هذه المسيرة الرائعة في عصرٍ نحن أحوج ما نكون فيه إلى القدوة الصالحة الرائدة، والنموذج المثالي الصادق.

وهنا لابدّ لي من الإشارة إلىٰ عدة حقائق قد تساهم في تبديد



بعض التصورات والاستنتاجات التي قد تنشأ من قراءة هذه المذكرات.

أوّلاً: إن فصولاً كثيرة من حياتها ومسيرتها كانت مشتركة مع مسيرة وحياة سيّدنا الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليهما ـ وهذا فرض نوعاً من التكرار ـ في بعض الأحيان ـ بين ما في هذه المذكرات وكتاب (الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار) وهو أمر لم يكن بالإمكان تفاديه.

ثانياً: قد يُستنتج من بعض فقرات هذه المذكرات تعريض بكيان ديني أو إجتماعي أو شخص ما، والحقيقة إنني لم أقصد ذلك، وإنّما كانت الإمانة التاريخية تفرض عليّ أن (أكتب ما أعلم) وأقدّم ما أعرف من حقائق وحوادث ليست ملكاً ولا حقاً لي اتصرف به حسب رغبتي، وقد أكون مصيباً أو مخطئاً فيما ارويه أو استنتجه وللقارىء الخيار في القبول أو الرد، إذ ليس ممكناً أن استدل علىٰ كل واقعة وحادثة استدلالاً رياضياً أو وثائقياً، وليس منطقياً أن اتوقع من الجميع القبول المطلق لكل ماكتبت أو رويت، وهذا الأمر يرجع إلىٰ مستوىٰ قناعة القارىء بالراوي.

وثالثاً: قد يتوقع البعض مني أن اذكر موقعه في مسيرة السيّد الشهيد الصدر أو اخته بنت الهدىٰ ـ رضوان الله عليهما ـ والحقيقة انني لا ادعي الإحاطة الكاملة بتاريخ الشهيدين ومَنْ رافقهما وساهم معهما في مسيرة جهادية طويلة، إن لكل أحد الحق أن

يكتب عن جانب عاشه أو ساهم فيه من تاريخهما، وما كتبته لا يعني سد الطريق أمام الآخرين أو ظلمهم، ولم (اصادر تاريخ أحد) نعم ليس من مسؤوليتي كتابة تاريخ الآخرين فأنا فقط بصدد كتابة (فترة) من تاريخ ومسيرة السيّد الشهيد الصدر واخته المظلومة بنت الهدىٰ وهذا ما فعلته في هذه المذكرات.

ورابعاً: قد يتوقع البعض من هذه المذكرات أن تكون بنفس المستوى المعلوماتي في كتاب (الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار) والحقيقة أن تاريخ الشهيدة بنت الهدىٰ تاريخ عظيم حافل بالمواقف الرائعة، وما في هذا الكتاب المتواضع هو ما (أعرفه) فقط، كما إن طبيعة الأمور كانت تفرض نوعاً من المحدودية انعكست على الكتاب وهو أمر خارج عن إرادتنا.

أسال الله تعالىٰ أن يجعل هذا العمل مقبولاً عنده وخالصاً لوجهه.

المؤلف

الفصل الأول

معالم ومحطات في حياتها وسيرتها

* ولادتها ونشأتها
* تعلمها القراءة والكتابة
* النضوج العلمي والديني
* الذكاء والفطنة
* الوعي والفهم الاجتماعي والسياسي
  (١) مساهماتها الفكرية والثقافية
  (٢) التدريس والتثقيف
  (٣) التفرغ للجهاد والعمل الإسلامي
  (٤) السلوك الشخصي الهادف
* سلوكها داخل الأُسرة
* العبادة
* بنت الهدى كما تراها إحدى تلميذاتها

ولادتها ونشأتها:

ولدت الشهيدة الخالدة آمنة بنت آية الله السيّد حيدر الصدر (بنت الهدىٰ) عام ١٣٥٦ هـ ١٩٣٧م في مدينة الكاظمية، في بيت عريق في العلم والجهاد والتقوىٰ.

كانت أصغر شقيقيها واختهما الوحيدة.

ولم يختلف حالها عن حال باقي أسرتها في مكابدة الفقر والحرمان، وتحمل الصعاب والمشاق، بروح غمرها الإيمان والقناعة بادنىٰ ضروريات الحياة.

لم ترَ بنت الهدىٰ أباها ولا تتذكره كما أعلم وكأنها ولدت يتيمة، إلّا أن الله عزّوجلّ عوضها عن ذلك بأخويها المرحوم السيّد إسماعيل الصدر وشهيدنا الغالي السيّد الصدر ـ رضوان الله عليهم جميعاً ـ فقد أغدقا عليها حناناً ومحبة تفوق ما يتوقع اليتامىٰ، وربياها بما لم يُربِ أب فلذة كبده.

تعلمها القراءة والكتابة

تعلمت الشهيدة بنت الهدى القراءة والكتابة في البيت علىٰ يد والدتها ـ رحمها الله ـ فكانت الأم هي المعلّم الأوّل، تُرويها المحبة والحنان والرعاية ثمّ العلم والمعرفة.

كانت والدتها ـ رحمها الله ـ تُثني علىٰ ذكاء ابنتها وقدرتها على التعلم والاستيعاب والفهم، وتقول إنها لا تنسىٰ ما أعلمها.

ثم استكملت مراحل تعليمها القراءة والكتابة علىٰ يد أخـويها، وشمل ذلك علوم العربية في أكثر جوانبها، حتىٰ تمكنت من كتابة الشعر في السنوات المبكرة من عمرها.

النضوج العلمي والديني

نضجت شخصيتها العلمية والدينية علىٰ يد أخيها سيّدنا الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ فوصلت إلىٰ درجات عالية من الكمال والتقوىٰ والعلم والمعرفة.

وما من شك إن للبيئة والمحيط تأثيراً كبيراً علىٰ نشأة الإنسان وتربيته، سلباً أو إيجاباً، إلا إنني من خلال معرفتي للشهيدة بـنت الهدىٰ اعتقد إنها كانت تمتلك من المقومات الشخصية ما تجاوزت

به تلك المؤثرات، فلا اعتقد ان البيئة والمحيط كانا السبب الأوّل في صياغة شخصية الشهيدة بنت الهدىٰ، بل ما كانت تتمتع به من مقومات وخصائص جعلتها ترقىٰ مدارج الكمال بسرعة كبيرة، واستطاعت أن تتجاوز ظروفها في الزمان والمكان إلىٰ مراحل متقدّمة فكانت ـ بحق ـ رائدة ونموذجاً رائعاً للمرأة المسلمة الورعة المثقفة المجاهدة المدركة لمتطلبات الحياة.

كانت الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ حريصة علىٰ تثقيف نفسها ثقافة إسلامية رفيعة، سواء في مراحل حياتها الأولىٰ، أو فترة ما قبل الاستشهاد.

فتمكّنت من توسيع أفق ثقافتها توسعاً شاملاً متعدد الأبعاد، ولعل كتاباتها في مجلة الأضواء في تلكَ الفترة (١٩٦٦م) تعكس لنا جوانب من تلك الأبعاد، وكذلك العمق والأصالة والنبوغ، ذلكَ إن مجلة الأضواء التي كانت تصدرها جماعة العلماء في النجف الأشرف لم تكن منبراً إلّا للنتاجات المتميزة فقط، وكانت بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ من أبرز مَن كتب فيها بل كانت الرائدة الأولىٰ في الكتابة والتأليف ولم نعهد قبل الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ كاتبة إسلامية متميزة في كتاباتها عمقاً وأصالة ووعياً في النجف إن لم نقل في العراق كله ـ رغم المضايقات التي تعرّضت لها بسبب ذلك ـ. ولما تميزت بها كتاباتها في مجلة الأضواء من متانة كان البعض يتصور إن المقالات التي توقع باسمها إنّما هي للسيّد الشهيد

الصدر رضوان الله عليه.

أمّا دراساتها الحوزوية فيجب أن نعلم أنّ الأعراف في النجف لم تألف الدراسات النسوية الحوزوية، وخاصة علمي الفقه والأصول، إلّا إن الشهيدة بنت الهدىٰ تجاوزت هذا الحاجز فدرست شطراً كبيراً من علمي الفقه والأصول عند أخويها الكريمين السيّد إسماعيل الصدر والسيّد الشهيد الصدر ـ رحمهما الله ـ.

والحقيقة لا توجد لديّ في الوقت الحاضر معلومات تفصيلية عن دراستها هذه، والمستوى الذي وصلت إليه، إلّا إنني أعلم إنها كانت في فترات ما بعد الظهر وفي أغلب الأيام تناقش السيّد الشهيد في بعض المسائل الفقهية والأصولية وخاصة كتاب المكاسب واستمرّ ذلك حتىٰ فترة قريبة قُبيل الاحتجاز.

والذي يمكن أن اقطع به إن الشهيدة بنت الهدىٰ كانت ضليعة بقدر كبير من الأحكام الفقهية عموماً. فقد كانت ملاذاً للكثير من المؤمنات لمعرفة الأحكام الشرعية، كما كانت المرشدة الدينية للنساء في الحج، ومن المعروف إن مسائل الحج وأحكامه من أصعب وأوسع الأحكام الشرعية.

الذكاء والفطنة

وتمتاز الشهيدة بنت الهدىٰ بذكاء وفطنة مكّناها من القدرة على

الاستيعاب المتقن لكل مجالات العلم والمعرفة التي خاضتها، ولا أغالي إذ قلت إن السيّد الشهيد ـ رحمه الله ـ كان مُعجباً بذكاء أخته وفطنتها وقدرتها على الاستيعاب، وقد لاحظت ذلك مرّة من خلال مراجعتها له في بعض مطالب (المكاسب) والمكاسب كتاب فقهي للشيخ الأنصاري ـ رحمه الله ـ يدرسه طلاب العلوم الدينية في مرحلة ما قبل بحث الخارج، حتىٰ إن بعض العلماء كان يقول إن من يتقن المكاسب ويفهمه بشكل تام يستحق إجازة الإجتهاد، وهذا الكلام تعبير عن مدىٰ أهمية هذا الكتاب لما فيه من مطالب علمية معمقة ومعقدة.

ولست أعرف شيئاً عن كيفية دراستها لهذا الكتاب المهم أو غيره من الكتب الفقهية والأصولية إلّا انني أعتقد إن استجابة السيّد الشهيد ـ رحمه الله ـ لها وتجاوبه معها فيما تستفسر عنه أو تناقش فيه دليل على المرحلة العلمية المتقدّمة التي وصلت إليها، وإلّا فإن من عادة السيّد الشهيد صرف الأشخاص الذين يخوضون في مطالب علمية ليست بمستواهم أمّا بالسكوت وعدم التجاوب، أو بنصحهم لما فيه نفعهم، وهذا ما لم يحدث مع أخته ـ رحمها الله ـ ممّا يدل علىٰ اعتقاده الكبير بمستواها العلمي.

تروي السيّد أم فرقان في كتابها (بطلة النجف) عن الشهيدة بنت الهدىٰ ما يلي: «وهناك حديث طريف إنّ الشهيدة قالت:

في أحدى الجلسات مع السيّد وبين يديه كتاب فلسفتنا محاولاً

شرحه وتبسيطه وبيان بعض غوامضه قلت له: سيّدنا اين أنا منكم... أنا لا أصل إلىٰ درجة من درجات علمكم وفلسفتكم... إن الفلسفة معقدّة ولها أهلها.. وأنتم أهل لها.

اجابني قائلاً: لايهم أنتم أقدر مني.

اجبته: وكيف؟

فقال: أنت تكتبين الشعر، وأنا مع حبي للشعر وتذوقي له، وقدرتي علىٰ صياغة الأسلوب البلاغي... وقد حاولت إلّا إني ما استطعت أن أكتب بيتاً واحداً... أنها موهبة وأنت في هذا المجال أقدر مني..»[١].

الوعي والفهم الإجتماعي

ومن الجوانب المهمة في شخصية الشهيدة بنت الهدىٰ وعيها المتميّز وفهمها العميق لمسيرة الحياة الإجتماعية والثقافية والسياسية.

واعتقد إن القليل من الناس وحتى المقرّبين منها لا يعرفون الكثير عن هذا الجانب من حياتها بسبب الظرف الإجتماعي الذي كان لا يسمح بالافصاح عن الكثير ممّا يجب أن يُعرف عنها،

(١) بطلة النجف: ص ٧٤.

ويساهم مع الظرف الإجتماعي الظروف السياسية القاسية التي كانت تطوق هذا المَعلَم، من حياتها المباركة، ولست مبالغاً إذا قلت إنّها جاءت في زمان غير زمانها، بل وعاشت في مجتمع تفنن في ظلمها فكانت ضحية هذا اللون من الاضطهاد وعدم الفهم.

ولعل من أبرز معالم هذه السمة في شخصيتها ما يلي:

اولاً : مساهماتها الفكرية والثقافية

مساهماتها الفكرية والثقافية فيما كتبته في مجلة الأضواء التي تصدرها جماعة العلماء في النجف الأشرف، ومؤلفاتها الأخرى القصصية وغيرها.

لقد أدركت الشهيدة بنت الهدىٰ إن المجتمع النسوي العراقي بحاجة إلىٰ يدٍ أمينة تمتد إليه، وقلب طاهر مؤمن يركن إليه، وفهم جديد للفكر والثقافة الإسلامية.

ومن المعروف إن الجهات الدينية المتصدية في العراق لم تهتم بالمرأة العراقية إهتماماً مناسباً، ولعل المناسبة الوحيدة التي تتوفر لها هي مجالس العزاء الحسيني خلال شهري محرم وصفر التي تشدّها إلىٰ دينها وقيمها، وهذه أيضاً غير مستمرة بالشكل الصحيح والمناسب، فلو لاحظنا المجالس الحسينية النسوية وما يُتلىٰ فيها من مواضيع واشعار وخاصة في تلك الفترة من (١٩٦٠ إلىٰ ١٩٧٠م) لوجدنا إن السطحية وعدم الهدفية هي الطابع الذي

يميزها، وبكلمة مختصرة نقول إنها غير قادرة علىٰ تحقيق الحد الأدنىٰ من الثقافة الإسلامية المطلوبة.

وفي المقابل نجد إن الانظمة التي حكمت العراق وخاصة سلطة البعث المجرمة استغلت الإهمال الكبير والفراغ الهائل للسيطرة ثقافياً وسياسياً على المرأة، من خلال قنوات استيعاب فعالة كاتحاد النساء والجمعيات المختلفة والمدارس والجامعات وما فيها من اتحادات للطلبة، وهي كلها تستهدف المرأة في ثقافات إباحية والحادية ومعادية للدين.

واذا لاحظنا الكتابات الإسلامية التي تستهدف المرأة المسلمة ثقافياً وتربوياً فسوف نجد فراغاً كبيراً ليس من اليسير ملؤه، إذ لا توجد كاتبات ولا كتابات إسلامية موجهة للمرأة تعالج مشاكلها الدينية والإجتماعية وتنهض بها ثقافياً وسياسياً، وتخلق فيها حالة من الوعي لما يجري حولها يحصنها من الإنحراف والضلال، من ملاحظة تلك الأمور يمكن أن ندرك أهمية الوعي الذي امتازت به الشهيدة بنت الهدىٰ والذي جعلها تُقدم علىٰ خطوة جريئة ورائدة في مجال الكتابة الموجّهة والهادفة لتثقيف المرأة المسلمة بما يضمن لها كرامتها ويحصنها من الإنحراف والضياع.

ثانياً: التدريس والتثقيف

إقامتها لحلقات التدريس والتثقيف الديني في النجف

والكاظيمة وبغداد وكان ذلك على مستويين، المستوى الأوّل كان ثقافياً عاماً في دائرة واسعة ـ تناسب تلك المرحلة ـ الهدف منه توجيه أكبر عدد ممكن من النساء لمعرفة دينهن وإسلامهن. والمستوى الثاني كان خاصاً يستهدف تربية وتثقيف جيل من المربيات الطليعيات ثقافة حوزوية عميقة لمواصلة المنهج الذي اختطته الشهيدة بنت الهدىٰ إيماناً منها بأن عملية التغيير تحتاج إلىٰ طاقات متعدّدة وفعّالة وكانت الشهيدة تقول:

«إنني سعيدة فيما توفّر لي من ظروفٍ خاصةٍ مكنتني من الطموح لبناء جيل من المؤمنات المربيات اللاتي يمكنهن خدمة الإسلام بأفضل ما يمكن، فأنا وبفضل الله تعالىٰ بقرب أخي أحصل منه على التوجيه في كيفية العمل والرؤى الصحيحة والمناسبة من جانب، وعلى الثقافة المعمقة والفهم الصحيح للإسلام من جانب آخر فارجع إليه في كل ما يصعب عليَّ وأحصل منه علىٰ أفضل ما يكون ويمكن وخاصة في المسائل الفقهية والفكرية وهذه نعمة كبيرة يجب أن أشكر الله عليها..».

كانت ـ رحمها الله ـ دائبة في اداء هذه المسؤولية والواجب المقدّس فاستطاعت في فترة زمنية قياسية إعداد ثلة من المؤمنات المخلصات القادرات على التوجيه والتربية الإيمانية ونشر الوعي

الثقافي الإسلامي.

ثالثاً: التفرغ للجهاد والعمل الإسلامي

وقد حرصت بنت الهدىٰ على التفرغ الكامل للجهاد في سبيل الله تعالىٰ والعمل لخدمة دينه وهذا ما جعلها تعزف عن الزواج الذي كان سيحدّد حياتها التي أرادت لها أن تحقّق هدفاً أكبر ممّا أَلِـفته النساء من آمال وطموحات في زوج وأولاد.

وإني علىٰ يقين ممّا أقول ولا أعلم سبباً غير هذا حال بينها وبين الزواج، وليس هذا غريباً علىٰ أهل البيت عليهم السلام وأحفادهم فلها مَثَل بسكينة بنت الإمام الحسين عليه السلام التي عزفت عن الزواج لأن الاستغراق مع الله غلب عليها، كما جاء في بعض النصوص.

ويجب أن نقدّر هذه الرؤية التضحوية في شخصية السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ وما تمثل من إيمان عميق وأهداف كبيرة تتجاوز الذات والهموم الفردية الخاصة وتمتد إلى التضحية بالذات من أجل الأمّة والمبادىء والقيم.

رابعاً: السلوك الشخصي الهادف

كل من يعرف الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ يعرف فيها النموذج السلوكي المثالي الرائد للمرأة المسلمة، فهي حقاً القدوة الصالحة التي لا تعرف نفاقاً إجتماعياً أو سلوكياً بل تجد الصدق والإخلاص والإيمان العميق بالمبادىء الأخلاقية الإسلامية في

مجال التطبيق والممارسة، هي السمة البارزة في هذا الجانب من حياتها.

وما من شك إن السيّدة الشهيدة كانت تستهدف بسلوكها خدمة الإسلام علىٰ أصعدة متعدّدة ومجالات مختلفة.

فهي أوّلاً: تمكنت من الانعتقاق من فكرة إنّها بنت البيت العلمي والديني التي تجعلها تشعر إنّها أفضل من الآخرين ويساعدها علىٰ ذلك احترام الناس وتقديرهم الذي يعزز تلك الرؤية لدى السذج. وهي فكرة غير صحيحة ومقياس يخالف مقياس الإسلام الذي يقوم علىٰ أساس ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾.

وأعتقد إن الشهيدة ـ رحمها الله ـ لم يخالط تفكيرها شيء من هذا القبيل، بل كانت تنتقد الظواهر القائمة علىٰ هذا الأساس وتحاول أصلاحها بما يتطابق مع المبادىء الإسلامية.

وما من شك إن كل من رأى السيّدة الشهيدة لم يلحظ فيها سلوكاً قائماً علىٰ أساس إنّها بنت البيت العلمي والديني، الذي يمنحها مكاسب قهرية يميزها عن الآخرين، فلا كبر ولا غرور ولا استعلاء، بل يجدها متواضعة بسيطة تحترم الناس أضعاف احترامهم لها وتحبهم أضعاف حبهم لها.

فكانت بنت الهدىٰ بما تمتلك من إيمان قوي ووعي كبير تضرب الأمثلة الرائعة، فتجدها مع الفقراء والبسطاء، ومع زوجات الطلبة تتفقدهن وتجالسهن وتعالج مشاكلهن، والكل واقع تحت تأثير

خلقها المحمّدي تقول عنها السيّدة أم نور الهدىٰ:

«تذكر الأُخت صاحبة اللقاء الوحيد معها، من جملة الالتفاتات البسيطة في لقائها بالشهيدة والتي كانت لها دلالات عميقة تكشف البعد الرائع لشخصيتها ـ قدس الله روحها الطاهرة ـ إنّها في بداية لقائها تقول تلك الأُخت إني ذكرت لها أسم إمرأة من عائلة الصدر قائلة لها: علوية إنّها تقرب لوالدتي علىٰ ما يبدو ومن جهة الأم.

وبإبتسامة عذبة وذكية اجابتني بما معناه: المسلمون كلهم أقاربنا.

اللقاء كان فيه مجموعة من الأخوات ما أرادت الشهيدة لحظتها أن تحسس بقرب أحدنا على الأُخرىٰ»[١].

وثانياً: جسدت الشهيدة بنت الهدىٰ ـ بصدق ـ الخُلق الإسلامي الرفيع، فكانت نموذجاً رائعاً للمرأة المسلمة المنصهرة بعقيدتها المتمسكة بدينها.

وما من شك إن هذا الإيمان العميق منحها القدرة على التأثير في مجال التبليغ تطبيقاً لقول الإمام الصادق عليه السلام: (كونوا لنا دعاة بغير

---

(١) جريدة المنبر العدد ٢٤ ص٧ ـ لندن.

ألسنتكم) فأصبحت نموذجاً فريداًفي قدرتها على التأثير بسلوكها دون قولها، وكانت ـ بشهادة الكثير من المؤمنات ـ تشد إليها كل من رأتها، تبهرها بسلوكها وأخلاقها وكيفية تصرفها، تقول عنها الأُخت أم نور الهدىٰ:

«حدثتني صاحبتي ذات اللقاء الوحيد معها فقالت: ونحن في طريقنا إلىٰ بيت الشهيدة الطاهرة سألتني رفيقتي التي سبق لها التعرّف واللقاء ببنت الهدىٰ قائلة: كيف تتصورين شكلها وأنت بعدُ لما ترينها؟

اجبتها بصدق: إني اتصورها كمريم العذراء عليها السلام في قدسيتها.

ثمّ تستطرد صاحبتي هذه بقولها: وفعلاً ما إن التقيت بالشهيدة حتىٰ كأن الصورة التي أحملها في مخيلتي عنها منطبقة علىٰ واقعها، فحدثتها بالمحاورة التي جرت بيني وبين رفيقة الطريق، وحينها ردت ـ قدّس الله روحها الطاهرة ـ قائلة: أين نحن من مريم سلام الله عليها..»[1].

وأنا علىٰ يقين إن حجم التأثير الذي خلفته بنت الهدىٰ في نفوس من عرفنها عن قرب معرفة شبه تفصيلية يجعل الدموع

---

(١) المصدر السابق.

تنهمر من دون إرادة عند ذكرها فليس سهلاً أن تنسى الذاكرة نموذجاً قد لا يتكرر بنفس السمات والمواصفات.

وكمثال لحجم التأثير اسجل النماذج التالية لنساء عرفن الشهيدة بنت الهدىٰ وما تميزت به شخصيتها من جاذبية وتأثير.

كتبت الأُخت ابتهال البغدادي[1] مقالاً بعنوان ـ بنت الهدىٰ شهيدة محراب العقيدة ـ نقتطف منه ما يلي:

«اتحدث عن بنت الهدى الإنسانة الحساسة التي كانت تحمل هموم الأمة، والتي ذابت في الناس وعاشت الآمهم ومآسيهم، فتفقدت عوائل الشهداء وزارت بيوت الفقراء وطببت جراحاتهم.

اتحدث عن تلك الإنسانة المؤمنة ذات الأخلاق الحلوة، ونسيم التعامل اللطيف الطيب.

كانت تفي بالعهد وتلتزم به حيث «إن العهد كان مسؤولاً».

كانت توقر الكبير وتحترم الصغير، تحدثني احدى الأخوات إنّها كانت مع عائلتها في زيارة لبنت الهدىٰ تقول الأخت حينما انتهت الزيارة وهممنا بالخروج تأخرت أنا وبقيت أربط حذائي وبنت الهدىٰ واقفة

---

(١) جريدة المنبر العدد ٢٤ الصفحة ١١ ـ لندن.

معي تنتظرني لا تدخل إلى البيت وكان عمري يـومها اثنىٰ عشر عاماً ولم تذهب عني حـتىٰ خـرجت وهـي تودعني .

ولقد استقصيت أنا شخصياً ارآء بـعض الأخـوات حول بنت الهدىٰ وسألت كل واحدة مـنهم : مـا الذي يجذبك إلىٰ بنت الهدىٰ أكثر من غيره فكانت الإجابات مختلفة .

فقالت إحداهّن : عزوفها عن الدنيا وملذّاتها . . .

واجـابت أخـرىٰ : إنّـها بسـاطتها وتـواضـعها واريحيتها . . .

وأُخرىٰ عقبّت : إنّها رغم بسـاطتها كـانت سـيّدة متانقة ذات هيئة حسنة كانت تعتني بمظهرها . . . وفي خاتمة الاستقصاء توجهت بسؤالي هذا إلىٰ من لها صلة وثيقة ببنت الهدىٰ وقرابة فاجابت :

انه العمل في سبيل الله منذ مطلع شبابها الأغر . . لقد نذرت حياتها كلها لله تعالىٰ ، وأصدق فعل للإنسان هو أن يقدّم روحه ، ولا أغلىٰ من الروح لدى الإنسان وقد قدمتها بنت الهدىٰ رخيصة إلىٰ باريها عزّوجلّ .

وهي ممّن لها فضل في تحبيب الإسلام إلىٰ كثير من الناس وجعله حلواً مستساغاً عذباً بـعد أن كـان أمـراً

رجعياً معقداً في نظر الكثيرين .

وأنا أقول : إنّهُ يكفي بنت الهدىٰ إنّها قالت كلمتها الجريئة ، وجاهدت أفضل الجهاد «كلمة حق عند سلطان جائر» حين خرجت تنادي في صحن جدّها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ﷺ : الظليمة . . . الظليمة . . . أيّها الناس اعتقل مرجعكم . . .

ويكفي بنت الهدىٰ أيضاً إنّها في الليالي الحالكة حيث الظلام هو كل شيء والسكون قد عمّ الكون وكثير من الناس قد خلدوا إلى الراحة والنوم ، وعين بنت الهدىٰ ساهرة أرقة ، جالسة وبين يديها أوراقها ، وقد أحنت ظهرها علىٰ تلك الأوراق تكتب لنا ، لكل بنات الإسلام .

فلصرير قلمها الشجاع الباسل الذي يدور مع الحق حيثما دار رنّة يوم القيامة ونغمة عذبة ، ولحن جميل يقودها إلىٰ حيث الجنان والرضوان .

كانت إنسانة مثلنا لا تفترق عنا بشيء لكنها تفوقت إلىٰ مراتب الشهادة والذكر العلي الجميل في الدنيا والآخرة بحسن النية والأخلاص في العمل لوجهه تعالىٰ .

لذا نحن مدينون للشهيدة بنت الهدى لا سيما

النساء الرساليات المتنورات بالفكر والمعرفة.

مدينون للتعريف بالشخصية الفذّة والروح الإيمانية التي كانت تستبطن الثورة والرفض للظلم بكل أنواعه.

مدينون للتعرف بالكلمة الجريئة والوقفة البطولية العظيمة التي وقفتها بنت الهدىٰ ضدّ الطاغية المتفرعن...».

ونموذج آخر ما جاء في مقال تحت عنوان ـ أيُ كنزٍ ثمين فقدنا ـ للسيّدة أم نور الهدىٰ ليعبّر عن مشاعر المثكول الحيران وقد صدمته الواقعة فهو ينتزع الزفرات من قلب لا يكاد يصدّق ما وقع تقول فيه:

« بنت الهدىٰ... سلامٌ عليك.

يا حوراء المحنة ويا زينب العصر.

سبعة عشر عاماً قد تصرمت، وفراق الأحبة ثمّ لوعة الحنين ما زالا يضطرمان في قلوب المحبين.

سبعة عشر عاماً بأيامها ولياليها بأشهرها الطوال وثقل سنينها المعتمة بوحشة الفراغ الذي خلفتموه... افحقاً يا مولاتي مرت كل تلكم السنين على رحيلكم وبعدكم عنا؟ لكن ما بالنا يا سيدتي نحس وكأن الفاجعة لما تزل وليدة الأمس؟

وتجيبني نفسي ولِمَ لا يكون إحساس الألم هكذا والجرحُ بعدُ لما يندمل.. والقلوب اللهفى للقيا كم بعد لم تبرد لوعتها ويطفئُ غليلها ولو وقفة علىٰ قبرك الذي غيبته يد الأجرام والحقد.

ولكني اعود فاقول بصدق الحاجة والحاح المحنة: اين انت يا حوراء المحنة؟ فمطبات الحياة أمامنا قد كثرت وتعددت.. والحاجة اليوم اليكم كما كانت هي بالأمس قد اشتدت وتعمقت.

عجيبة هي نفسكم الطاهرة تلك! أي تأثير عميق تتركه في القلوب التي تهفو إليها! قريبة كانت أم بعيدة.

يأتي ذلكَ كله بطريقة طبيعية غير متكلّفة أو متصنعة إذ ليس من كان الإيمان الصادق شأنه تأتي أفعاله، حركاته كلماته ـ حتىٰ عبر السنين ـ حية نابضة؟ لتحرك الوجدان، ولتدق أوتار القلوب فتنفتح بكل رحابة لنبضات الصدق الصادرة من قلوب قد عُجنت بالإيمان حتىٰ طهُرت.. وسَمت في علياء الكمال حتىٰ تألقت.

وهكذا كنت يا مولاتي يا بنت الهداية والهدىٰ، وهكذا عرفناك نوراً من تلكَ الأنوار الهادية، ما عساني يا سيدتي في أسطري الكليلة هذه أن

أحدّث عنك؟

أو أيٰ كلمات هذه التي ستترجم أو تعكس ملامح شخصيتك الرائعة كما هي في جوهرها وحقيقتها. لا بقصور الكلمات فيما اعكسه أنا أو غيري ممن تشرفن بمعرفتك وحظين برعايتك، إذ يبقىٰ انعكاس الشعاع ووهجة غير تالقة في جوهره وكينونته...

نعم وجدته من الصعب حقاً للوهلة الأولىٰ أن أكتب عن شخصية كان لها من الأثر العميق في نفسي أوّلاً، بل في مجتمعنا بشكل عام والنسوي بشكل خاص ثانياً... بحيث لا ابالغ أبداً إن قلت إنّهُ من النادر جداً أن تتكرر علىٰ مرّ الزمن.

بدأت اجمع ذاكرتي واسطري لاكتب عنها، قلت ونفسي لاستعين ببعض من أخواتي ممّن تشرفن بلقائها، لعلنا نوفق معاً لكشف بعض معالم شخصيتها الفذة التي لم تتناولها بعد الكتب أو المقالات التي كتبت عنها بدأت باخت واخرىٰ وثالثة...

استوقفتني أحداهن عندما أجابتني بعذوبة وبراءة صادقة حيث قالت: «لم يكن إلّا لقاء واحد لي معها» ثمّ استطردت.. ومع مجموعة لم أكن أنا الوحيدة كي تسنح لي الفرصة أكثر للحديث معها...

اجبتها لا عليك.. حاولي أن تتذكري اللقاء (لعلمي من خلال تجربتي مع الشهيدة ـ رض ـ إن كل لقاء معها وان كان قصيراً إلّا انّهُ يحمل في ثناياه الكثير ـ ثمّ بدأت رفيقتي تحدّثني عن ذلك اللقاء البسيط الذي في سرده لم يأخذ إلّا دقائق قليلة والذي صوّرته صاحبتي إنّهُ ربما ليس بالمهم أن تتحدث عنه حتىٰ بادرتها قائلة: مهلاً يا عزيزتي إن لقاءك الوحيد هذا علىٰ قصره أراه يحمل في ثناياه ما لا يقل عن أربعة جوانب رائعة لشخصية الشهيدة الطاهرة كشفتها محاورة قد تبدو للوهلة الأولىٰ إنّها محاورة عادية جداً إلّا: «إن محاورة نماذج كهذه لها من الإصداء والعبر ما ليس لغيرها».

إني إذ أقول ذلك واستشهد به لاقرّب الصورة في بيان التأثير العجيب لكلامها ـ قدّس الله روحها الطاهرة ـ إذ كانت تنتقي لكل موقف ما يُلائمة، ترد بسرعة بديهة بكلمات موزونة، إذ لم يكن للثرثرة في حديثها من مكان، لا يفاجئها سؤال أو استفسار إلّا وكأنها قد أعدت الجواب مسبقاً في حين نحن نعلم إن المحاورات أو التساؤلات التي كانت تُسأل فيها تأتي من شرائح مختلفة من المجتمع النسوي ومع ذلك لم

تكن تتعثر في منطقها للكلمات حتىٰ لو كانت الأسئلة محرجة في بعض الأحيان .

تحاور بهدوء . .

تجامل بدون تملق . . .

تنصت من غير ملل . . .

تعطي لكل مَنْ في المجلس حقها ، وكأنها الأم الحنونة التي لا تريد أن تميز بين بناتها .

لم تسخر يوماً من سؤال أخت حتىٰ لو كان بسيطاً لا تجرح ولا تحرج متحدثتها بشيء . .

ابتسامتها الصادقة والبريئة كانت تمتص بها كل نقص تلمسه .

كانت تستوعب الجميع . . الصغيرة والكبيرة ، العالمة والجاهلة ، تحدّث كلّ واحدة علىٰ قدر ما تستوعبه بتواضعها العجيب نعم ارتفعت في عيون مَنْ عرفها وبحبها الصادق لهن في الله وليس في غيره كسبت كل تلكم القلوب .

ماكانت تدعو لنفسها يوماً ، فمن كسبت من أخوات ونساء من مختلف الأعمار ماكان كسباً لنفسها ، إنّما هو كسب لدرب الهدى الذي كانت هي ابنته الدّالة عليه .

نعم بمثل تلكَ النية الصافية وبمثل ذلكَ الإخلاص

الصادق أنشأت جيلاً صاعداً من النســاء المـلتزمات بدينهن والواعيات في التزامهن . .»[١] .

هذه المشاعر الصادقة الحية تعبّر بواقعية عـن الجـوانب التـي أَعرفها في شخصية الشهيدة بنت الهدىٰ ، والأجدر أن أقـول إنّـها معالم وميزات عـبرت عـنها مشـاعر أخت مـؤمنة تـعرّفت عـلى الشهيدة بنت الهدىٰ لفترة زمنية محدودة ، وأقـول مـحدودة لأنـها تختلف علىٰ كل حال عن المعايشة اليومية التي يمكن من خلالها أعطاء صورة اشمل عن شخصية السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ ، ففي حدود ما أعلم إن حالة الثراء الروحي والفكـري والأخـلاقي فـي شخصية الشهيدة بنت الهدى لا ينضبّ بعدة لقاءات أو مواقف معها ، لأنهّا مَثل دائم العطاء والتوهج ، ولعـل فـصول هـذه المـذاكـرات المتواضعة عنها ستؤكد هذه الحقيقة .

سلوكها داخل الأسرة

من الأمور التي يجب أن تُعرف عن السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ سلوكها داخل البيت والأسرة ، ذلك لإنني اعتقد إنّها كانت نموذجاً قلَّ نظيره في ما سَطَرتهُ من خُلق رفيع خلال مـعايشة طـويلة مـع

---

(١) مقال تحت عنوان (أي كنز ثمين فقدنا) بقلم أم نور الهدىٰ نشرته مجلة المنبر الغراء العدد ٢٤ الصفحة ٧ بتصرف يسير .

والدتها وأخيها وابنة عمها السيّدة التقية الورعة أم جعفر حفظها الله، وللحق أقول إن السيّدة أم جعفر هي الأخرىٰ كانت نموذجاً ضمّ الخصال الحميدة والخُلق الرفيع في جانب، والتقوى والورع في جانب آخر، ولا نعجب من ذلك وهي قرينة سيّدنا الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ وسليلة العلماء الأبرار.

كان على السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ أن تقوم بعدة مهام في بيت أخيها وهي:

١ ـ المهام والوظائف التي تقوم بها تجاه السيّد الشهيد الصدر، أو ما قد يكلفها به في مجالات متعددة، من تدريس أو إقامة ندوات، أو إشراف مباشر علىٰ مدارس دينية أو غير ذلك.

٢ ـ دورها في استقبال الضيوف من النساء، والإهتمام بتلبية حاجاتهن الفقهية والفكرية، والمساهمة في حل مشاكلهن العائلية والزوجية.

٣ ـ دورها في تربية بنات السيّد الشهيد تربية لائقة وصحيحة.

٤ ـ دورها في خدمة والدتها المعظمة ـ رحمها الله ـ فقد كانت بحاجة إلى المزيد من العناية والإهتمام بسبب كبر العمر ولما تعاني من أمراض متعدّدة.

٥ ـ دورها في القيام ببعض شؤون البيت بالمساهمة مع السيّدة أم جعفر حفظها الله.

وأعتقد إن الشهيدة بنت الهدىٰ كانت موفقة في كل تلك المجالات بل وكانت نموذجاً رائعاً في كل ما قامت به.

ففي مجال الإشراف على الجوانب التثقيفية والتربوية كانت رائدة في نشاطها وقدرتها على التخطيط والتنفيذ وما من شك إن النجاح الذي حظيت به مدارس الزهراء عليها السلام إنّما كان في جانب كبير منه يعود إليها، وكذلك يعود لها الفضل في نشر الوعي الإسلامي بين الوسط النسائي، وكل ذلك كان يتم رغم الظروف القاسية من ضعف في الإمكانات المادية، أو مضايقات وضغوط أمنية، أو أعراف وتقاليد إجتماعية كانت تشكل عقبات كثيرة في طريقها.

أمّا إهتمامها بالناس فقد كانت تستقبل النساء مع السيّدة أم جعفر حفظها الله عصر كل يوم والزائرات من مدن مختلفة، ومشارب متعددة، ومستويات متباينة، ومع ذلك فإن الجميع يخرجن برضا وإعجاب لما يجدن من إهتمام ورعاية وحسن الخلق.

ولعل أروع ما عرفته عن السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ إسلوبها في تربية بنات السيّد الشهيد ـ رضوان الله عليه ـ فالىٰ جانب تعليمهن مسائل الحلال والحرام التي هي من الأمور الضرورية كان هناك جانب لا يقل أهمية عن سابقه وهو تهذيب نفوسهن بالمستوى الذي كان ينسجم مع ما كان يتطلع إليه السيّد الشهيد ـ رحمه الله ـ في مرجعيته من عدم إهتمام بالماديات. وهذه النقطة بالذات تحتاج إلىٰ وعي كبير وإرادة تقوم على الإقتناع الكامل فكانت

الشهيدة بنت الهدىٰ خير من قام بهذا الدور فكانت تذكرهن دائماً بأنّ ما عندهم من مال ليس ملكاً لهم إلّا بمقدار الضرورة العرفية وهو ما كان نفس السيّد الشهيد يربيهم عليه[١] وكانت تقول لهنّ إن الإنسان إنّما يكون عظيماً عند الله عزّوجلّ وعند الناس بإيمانه وأعماله الصالحة واخلاقه لا بملابسه وما يملك من ذهب وجواهر.

لقد كانت هذه المهمة صعبة جداً فإن عدداً كبيراً من الزائرات كنّ يرتدين أجمل الملابس والحُلي والزينة، وهو أمر مألوف في تلك الأيام، بل قد يعتبر من غير المستساغ أن تخرج المرأة بملابس بسيطة وعادية، فكيف يمكن مقاومة هذا الإغراء المستمر والذي له في كل يوم شكل ومظهر جذاب.

لقد حرصت الشهيدة بنت الهدىٰ وكذلك السيّدة أم جعفر علىٰ تربيتهن على الاقتناع بالحد الأدنىٰ وبما يحفظ كرامتهن وكرامة المرجعية والحالة الترابية التي كان السيّد الشهيد الصدر يستهدفها.

كما كانت تربيهن علىٰ نهج سلوكٍ أخلاقي رفيع في طريقة واسلوب تعاملهن مع الزائرات بنحو يحقق للإسلام خدمة عظيمة، واعتقد إن كل من ستقرأ هذه الملاحظة سوف تقول نعم كنا نرىٰ ذلك واضحاً في سلوكهن وتعاملهن.

أمّا دورها في خدمة والدتها ـ رحمها الله ـ فقد كانت صورة

---

(١) لاحظ سنوات المحنة وأيام الحصار ص١١٧.

رائعة من صور البرّ بالوالدين، ونموذجاً راقياً من منهج ﴿**واخفض لهما جناح الذل من الرحمة وقل ربي ارحمهما كما ربياني صغيراً**﴾

لقد رافقت الشهيدة السعيدة بنت الهدىٰ والدتها ـ رحمها الله ـ سنوات عصيبة بدأت باليتم المبكر لوالدها المرحوم آية الله السيّد حيدر الصدر ﷺ وما كانت ترىٰ في وجه والدتها من ألم وحزن علىٰ من فقدت من أولادٍ كانوا ضحايا الأمراض، أو هموم المعيشة الصعبة وضيق اليد والحاجة، أو ما كانت تعاني من أمراض مستعصية وصعبة العلاج.

وما أن تحملت الشهيدة بنت الهدى المسؤولية تجاه والدتها حتىٰ قامت بإداء دورها خير قيام، فكانت البنت البارة حقاً لأمها، ترعاها دون ملل، وتخدمها بحب وحنان، وتقوم بشؤونها خير قيام، وما أكثر ما سمعتها تردد (الله يرضىٰ عليك يا بنتي).

لقد رأيت الشهيدة بنت الهدىٰ وهي تقوم بخدمة والدتها في السنة التي ذهبنا فيها إلىٰ مكّة المكرّمة لأداء العمرة عام (١٩٧٨م) فكانت ترعاها بكل ما يمكن أن يتاح من وسائل الخدمة والرعاية.

ومن الجدير بالذكر إن المرحومة والدة السيّد الشهيد اصرّت علىٰ أداء العمرة كأحدنا رغم شيخوختها ومرضها فكانت تطوف مشياً علىٰ قدميها، وأصرت على السعي كذلك إلّا أنّها وجدت نفسها بعد قليل قد انقطع نفسها فاضطرت إلىٰ ركوب العربات المخصّصة لهذا الغرض، وكانت عند نهاية وبداية كل شوط تضع

قدمها على احجار جبل المروة أو الصفا لتحتاط في اداء أعمال العمرة، فكانت بنت الهدىٰ معها في كل منسك وعبادة لا تفارقها لحظة حتىٰ اتمت أعمال العمرة.

وكما كانت السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ ترعىٰ والدة سيّدنا الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ كانت كذلك وبنفس الروح والأخلاق تفعل السيّدة المكرّمة أم جعفر ـ حفظها الله ـ فقد كانت نموذجاً رائعاً في الأخلاق والطيبة والمحبة تحنو عليها وتخدمها بكل ما تقدر عليه جزاها الله خير الجزاء.

أمّا دورها في القيام بواجبات البيت وما يتطلب من رعاية وإهتمام فبالرغم من إن السيّدة الجليلة أم جعفر ـ حفظها الله ـ كانت أمّاً وزوجة مثالية فلم تُقصّر بشيء ولم تتماهل في اداء واجباتها رغم الضغط الكبير الذي كان ينشأ عادة من كثرة الضيوف الذين لا يخلو البيت منهم عادة، ومع ذلك نرىٰ بنت الهدىٰ تقف بما عُرف عنها من أخلاق عالية وإحساس بالمسؤولية لتساهم وبنفس المستوىٰ في إداء ما يلزم من واجب وخدمة تتطلبها الشؤون المنزلية، فكانت تقوم هي يوماً بالطبخ والسيّدة أم جعفر في اليوم الآخر وهكذا.

هذا كله بروح من الإنسجام والمحبة والمودة وحسن الخلق من الطرفين فلم ألحظ يوماً إن حزازة أو شيئاً من البرود يستحق الذكر حدث بينهما، وان حدث فما أسرع أن يتلاشىٰ وكأنه لم يكن.

واعتقد إن السيّدة الشهيدة مع السيّدة أم جعفر كانا قلباً واحـداً وعقلاً واحداً، ولم تكن همومهما شخصية ومصلحية كان هـمهما الإسلام وخدمة السيّد الشهيد وتخفيف همومه.

العبادة

من نافلة القول أن أتحدث عن هذا الجانب من شخصية السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ لأنها بحق القدوة الصالحة والمثل الطيب.

ومن المؤكد إن طبيعية الأمور لم تكن تتيح لي معرفة كل شيء وبتفاصيل دقيقة عن هذا الجانب، إلّا إنني لمحت بعض ما يشير إلىٰ ما كانت تتميز به من خصائص فريدة في هذا المجال.

حرصت ـ رحمها الله ـ علىٰ اخفاء هذا الجانب من حياتها، فقد كانت لها غرفة صغيرة خاصة بها وكانت جلّ عبادتها تـؤديها إمّـا فيها، وأمّا في حرم الإمام علي عليه‌السلام.

وقد لاحظت إنّها كانت كثيرة الصلاة والدعاء وقراءة القرآن من دون تفاخر أو تظاهر، واتذكر أن أحد كتبها أو قصصها وكنت أشرف علىٰ طباعته في أحدىٰ مطابع النجف واحتجت إلىٰ مراجعتها فـي بعض أمور طباعته فقلت لابن أخيها السيّد جعفر ـ حفظه الله ـ وكان صغيراً انذاك أن يخبر عمّته بالأمر، فذهب إلىٰ غرفتها ثمّ عاد فقال

إنّها تصلي. وكان ذلك قبيل العصر، فقلت لعلها ستفرغ من ذلك بعد ربع ساعة، وتكررت مراجعة السيّد جعفر وفي كل مرّة كان يقول إنّها تصلي وقد استغرق ذلك ما يقرب من ساعة ونصف إلىٰ إن أثارها كثرة تردد ابن أخيها فسألته عن السبب فقال إن فلاناً أحضر قسماً من (الكتاب أو القصة) ويطلب منك مراجعته والنظر فيه، ثمّ قالت له وبماذا كنت تخبره حينما كنت تتردد على الغرفة؟ فقال: كنت أقول إن عمتي تصلي، فطلبت منه إن لا يخبر أحداً عن أمورها هذه في المستقبل.

فكانت تستغل ما يتاح لها من فرص لأعمالها العبادية أو الدراسية ـ حسب الظروف ـ وقد فهمت ذلك من مناسبات تشبه هذه الحادثة من مثل صلاتها في المسجد الحرام لمّا ذهبنا إلى العمرة فقد اتخذت زاوية هناك والجأت ظهرها إلىٰ حائط المسجد وأخذت في الصلاة وقراءة القرآن والدعاء ولم تنقطع عن ذلك وكان هذا دأبها في كل يوم.

واستطيع أن أجزم إن للعبادة بإشكالها المختلفة لدى الشهيدة بنت الهدىٰ فهماً عميقاً يتطابق مع الهدف الحقيقي للعبادة في الإسلام، وهي العبادة الواعية التي تنعكس آثارها على السلوك والعمل، ولو لاحظنا الشهيدة المظلومة بنت الهدىٰ لوجدناها قمة شامخة في أخلاقها وسلوكها تتجسد فيه بوضوح آثار العبادة ومعطياتها، وليس ذلك غريباً إذا علمنا أن استاذها ومربيها هو السيّد

الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ الذي ألزم نفسه إن لا يـصلي إلّا بحضور قلب وانقطاع كامل لله[(١)] ولم يكن للشهيدة أن تخرج عن نطاق هذا الفهم العميق والصحيح للعبادة، وتجسد ذلك بـمواقـفها الإيمانية والبطولية في أيام المحن والأرهاب حين نكصت الرجال وثبتت بنت الهدىٰ حتىٰ نالت الشهادة.

هذه مقتطفات سريعة ومقتضية عن محطات كـبيرة فـي حـياة وشخصية الشهيدة الغالية بنت الهدىٰ رحمها الله.

بنت الهدىٰ كما تراها إحدىٰ تلميذاتها[(٢)]

كتبت السيّدة الفاضلة أم تقى الموسوي عن أُستاذتها الشـهيدة بنت الهدىٰ رحمها الله ما يلي:

«اضاءت حياة الشهيدة بنت الهدىٰ معالم باهرة، فهي

(١) لاحظ كتاب سنوات المحنة وأيام الحصار ص١١٩ ـ ١٢١.

(٢) كنت قد طلبت من السيّدة الفاضلة أم تقى الموسوي ـ وهي إحدىٰ تلميذات الشهيدة بنت الهدىٰ والمقرّبات منها ـ تزويدي بما عندها من مذكّرات وخواطر عن شهيدتنا الغاليّة فاستجابت مشكورة فكتبت هذه المذكرات القيّمة. وكان عزمي أن اضع كل مقطع منها فيما يناسبه من كتابي إلّا إنّي وجدت إنّ طباعتها كما هـي أكـثر فـائدة للقارىء لأنّها تعكس صورة صادقة ودقيقة عن الشهيدة بنت الهدىٰ، وهو ما استهدفه أساساً، كما أن تجزئتها قد تؤثر علىٰ بريقها وجاذبيتها وتأثيرها فآثرت طباعتها كما هي ـ مع تصرف يسير، وهي مذكّرات خطية احتفظ بها ولم تنشر من قبل.

العالمة الجليلة، والأديبة الفاضلة، نشأت في أحضان أخوين عالمين، وأم مهذّبة بصيرة، وقد دأب هذا الثلاثي الطاهر علىٰ تربية هذه البنت تربية صالحة نموذجية لتصبح بعد حين عَلَما للمرأة المسلمة الرساليّة، ولتكون السراج المنير في اللّيلة الظلماء لمن ضعن في متاهات الغواية والإغراء، وكان لديها دافع التقبل والقدرة علىٰ إستيعاب ما يُلقىٰ عليها من التوجيهات والدروس والمحاضرات التي كانت تعدّها لمستقبلها الخطير.

واذكر هنا أنّهُ عندما كانت الدكتورة بنت الشاطىء في سفرها إلى النجف الأشرف حيث التقت الشهيدة سألتها الدكتورة:

ـ من أيّ كلية تخرجت ؟

ـ قالت الشهيدة ببسمة وادعة (أنا خريجة مدرسة بيتنا).

فدهشت الدكتورة لهذه المفاجأة المذهلة التي لم تكن تتوقّع سماعها حيث تجد نفسها تقف أمام مفكّرة إسلاميّة لم تدخل مدرسة قط.

همٌ إسلامي ونشاط جهادي مبكّر

في ذلك العمر اليانع الذي لا يعرف مثله عند غيرها

سوى اللهو البريء والإنشغال في الأمور التي تنشغل بها الصبايا عادةً، كانت وهي في سن الورود المتفتحة للحياة وقد عزفت عن الأمور الصغيرة التافهة وكأنّها قد الهمت عمق الحكمة وهي صبية **﴿ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيراً كثيراً﴾**.

ومن الطريف أنّ هذه الصبيّة الحكيمة حيث تبادر أمها إلىٰ اهدائها (دُمية صغيرة) لظنّها أنّ إبنتها قد تكون في حاجة إلىٰ دمية تلهو بها مثل بقية الصبايا اللاتي هُنّ في مثل سنها، وتعجب الأم حين ترىٰ إبنتها تواجه هذه الدمية بالبرود، والذي قد يعبّر عن عدم ارتياح داخلي لما تراه من أنّ تسجيلها في عالم الصبا يشكل منقصة لها. وهي ذات القلب المتفتّح منذ نعومته على العمق والحكمة والقضايا الكبيرة والشؤون الرفيعة.

وقامت بتخريب تلكَ الدمية معلنة بذاك عن إنّها فوق المسائل الصغيرة، وقد زاد هذا الموقف أمّها إعجاباً بها، وافتخاراً بشخصيّتها الكبيرة، وهي في بداية مسيرتها في الحياة. وكانت في بواكير نشاطها الجهادي في ذلك العمر تُرتب نشرة جدارية تحتوي مضامين إسلاميّة وثقافيّة مفيدة وتقوم بإيصالها إلىٰ مَنْ تشخص ضرورة إطلاعهم عليها للإستفادة منها.

وهكذا في نعومة الأظفار كانت (آمنة الصدر) الصبية التي ربيت في رحاب العلم والجهاد والهموم الإسلاميّة تخطو خطواتها الأولىٰ في درب العمل المقدّس وهي ترفع بيدها علىٰ قدر جهدها لواء الإسلام تدعو إلى الله علىٰ بصيرة حالفتها منذ البداية ورثتها من الدم، ورضعتها مع اللبن وتغذتها من مائدة البيت الصدري، بيت المعرفة والحكمة والعمل الصالح والبذل في سبيل الله.

بنت الهدىٰ ومدرسة الشهيد الصدر

كان للشهيدة الإطلاع الواسع علىٰ مدرسة السيّد الشهيد وافكاره وتوجهاته الفكريّة الاستدلاليّة في الإصلاح والهداية، وقد تجلّىٰ ذلك في آخر كتاباتها التي برز فيها الجانب العلمي والنقاش الواعي أكثر من بقيّة كتبها، وهذا هو الملحوظ في كتاب (امرأتان ورجل) و (الباحثة عن الحقيقة).

الاستيعاب الواعي للتاريخ

وكذلك البحث والمناقشة في قضايا التاريخ الإسلامي الأمر الذي تجسّد في كتابها (المرأة مع النبي في حياته وشريعته) والذي يبرز فيه إطلاعها الواسع على

التأريخ الإسلامي، ويلاحظ القارىء فيه الرد المقتدر الواعي المقنع على الدكتورة بنت الشاطىء في كتابها (بنات النبي) وكيف اثبت ذلك الرد إنّ الرسول كانت له ابنة وحيدة، وهي فاطمة عليها السلام، ومن خلال بحث تحقيقي دقيق ومناقشة علمية بارعة.

الشهيدة أديبة بارعة

للشهيدة بنت الهدىٰ حس أدبي رفيع، وذوق عال، وشاعرية فذّة، وخيال واسع، يتجلّىٰ في كتاباتها الإسلامية الهادفة.

وكان الطريق القصصي الذي سلكته هو أفضل طريق لتعريف المرأة رسالتها، لا سيّما في ذلك الوقت الذي كان فيه الجانب الأدبي يُستغل من قبل أعداء الإسلام استغلالاً كبيراً للوصول عن طريقه إلىٰ أهدافهم اللئيمة.

لقد شعرت بإهميّة هذا الجانب وتأثيره في خدمة الإسلام، ولقد رأت بام عينها كيف نفذ الكفر والإنحراف للحياة الإجتماعيّة من خلال الأدب والشعر وكتابة القصص الفارغة المليئة بالمزابل الأخلاقيّة من الدعارة والمجون والرذيلة، وقد دسّوا فيها ما يشاؤون ويشتهون وما يملي عليهم شياطين الجن والأنس من تضليل واغواء وجذب إلىٰ مستنقعات الرذائل، وقد غدت

المكتبات مليئة بمثل تلك الحماقات، وغدت الشابة الضائعة اينما تلوي علىٰ كتب تطالعها لا تجد أمامها سواها، ولم يكن في وسعها ولا من ذوقها أن تطّلع علىٰ كتب العلماء او المفكّرين الإسلاميين، والسبب يعود إلىٰ أنّ تلكَ الكتب قد كُتبت بإسلوب يصعب فهمه وغير مشوّق لتلكَ الأعمار، فلم تكن تلك الكتب تستهوي الفتيان، فلابدّ إذن من ملء هذا الجانب وسد الفراغ، فراغ الاستفادة من الأدب الإسلامي الهادف الذي يستهوي الشباب لخدمة القضية الإسلاميّة إنطلاقاً من مقولة الإمام شرف الدين (لا ينتشر الهدى إلّا من حيث انتشر الضلال) فبادرت رحمها الله إلىٰ كتابة القصة الهادفة وبذلك الإسلوب الجذاب الواضح، وبدأت تعالج القضايا الأخلاقيّة في المجتمع بشكل شيّق يشد القارىء ويجعله يتابع الفصول بشغف حتىٰ يصل إلى النهاية، نلاحظ هذا في كتابها الفضيلة تنتصر، حيث نراها تنفذ إلى المرأة من الجانب العاطفي الذي هو يملكها ولا تملكه، وتضغط علىٰ ذلكَ (الزر) لتصل الى الهدف المرسوم، وإثارة مشاعر الخير والفضيلة، وعالجت بذلك الإسلوب الأدبي الشيّق الأخطاء الإجتماعيّة، والتقاليد والأعراف الخاطئة المتفشية في اوساطه، وراحت تبرز مفاسدها بشكل

مضحك ومثير تارة، وبشكل عاطفي حزين تارة أخرى، ويجد القارىء هذا في قصصها الصغيرة (الخالة الضائعة) و (ليتني كنت أعلم) ولا يخفىٰ أنّ قصصها كانت تستهوي غير المتدينات أيضاً لأنّها لم تكن قصص التاريخ الإسلامي في صورته الأولىٰ، أو عن واقع الإيمان والتقوىٰ لدىٰ نساء العقيدة أو رجالها، بل كانت قصص الواقع المعاش والحياة الإجتماعيّة بما فيها من مشاكل وعقبات ومحن ومصاعب يغرق المجتمع في تيارها، ويتيه في قفارها.

الجانب الأخلاقي للشهيدة

والمعلَم البارز الذي اشرقت به الحياة العلمية للمجاهدة الشهيدة وجعلها كالشمس المنيرة، وفتح لها واهدافها السامية الأبواب علىٰ مصاريعها في القلوب فأثرت تأثيرها المشهود هو إطلاعها الواسع في علم الأخلاق الذي تكاملت بواسطته وانطلقت بأنواره لتكميل غيرها، وهذا جانب مهم وخطير في حياتها، وكان لابدّ لها منه كمؤمنة رسالية رائدة ومعلمة هادية، وكانت لها ـ رضوان الله عليها ـ دراية كافية بهذا العلم وقد نذرت نفسها لخدمة هذا الجانب الكبير الذي أشار إليه الرسول ﷺ بقوله: «إنّما بعثت لأتمّم

مكارم الأخلاق».

وقد كان همّها أن تقوّم هذا الأمر في شخصيّة المرأة المسلمة التي غدت العوبة اللاعبين وقد اضلوها عن الطريق السوي، ومشوا بها في متاهات الدروب الملتوية والمسالك الوعرة، وكانت أكثر كتاباتها ومحاضراتها تتركّز علىٰ هذا الأمر. ولكون كلمتها كانت بمنتهى الصدق والإخلاص، ومن أعماق قلبها كانت كلمة مؤثّرة مغيّرة، وقد استطاعت بها أن تصنع جيلاً نسويّاً فرض التيّار الإسلامي على الصعيد النسوي، وفي وسط المجتمع وعلىٰ كل المستويات.

ولقد كان من سجاياها المشهودة والتي حببتها كثيراً إلى الناس سجيّة التواضع الذي رفعها عند الله وعند عباده، وصيّرها في نفوس المطلعات عليها من قرب ملاكاً يسبّح في السماوات الممتدة من الاجلال والتقدير لها في صدورهن، وكانت بشاشتها الساحرة تعينها علىٰ خصومها فتأسرهن بها، وتجذب بها قلوب محبّيها ومريديها أشد الجذب، وهي مع هذه البشاشة الآسرة كانت مُهابة يُعينها الآخرون علىٰ أنفسهم، وكانت تمتلك مهابة جدّها أمير المؤمنين الذي يصرحِ بأنّهُ ما لقي عدوّاً إلّا أعانه علىٰ نفسه، وهذه الهيبة التي كانت تمتلكها

الشهيدة هي هيبة الإيمان والتي يمُن بها الله على المجاهدين المخلصين من عباده الذين قرر سبحانه أن يهديهم سبيل التوفيق حين رفعوا لواء الجهاد ﴿ والذين جاهدوا فينا لنهدينّهم سبلنا وانّ الله لمع المحسنين ﴾.

وكانت متميّزة بسكينتها بكلامها ووقارها وطريقة حديثها ونظراتها التي توزعها على الجالسين بكل لطف ورفق بحيث يعرفها من لا يعرفها، فهي مثال لقوله تعالىٰ ﴿ سيماهم في وجوههم ﴾.

العجيب من أمر الشهيدة إنّها كانت تجالس الجميع، وتحل مشاكل الجميع، وهذا أمر في غاية الصعوبة فهي مرة تكون مع الجامعيات، ومرة مع الأميات، ومرة مع الموسرات، ومرة مع الفقيرات، مرة مع الفتيات، ومرة مع العجائز، تماشي الجميع وترشدهن، وتعطيهن من معرفتها ومواعظها، وتكلّمهن كلاً بقدر عقلها ومستوىٰ فكرها، ولقد تعلّقن بها تعلّقاً شديداً وأحببنها حباً جماً. ولم يشاهدن فيها ذلك التصوّر القائم حول المتدينات الملتزمات والذي يعرض المرأة الرسالية وكأنّها جليسة الحجرات ملازمة الصلوات، وان الإسلام يحتكر المرأة للرجل ويجعلها أسيرة له لا تملك من أمرها شيئاً.

الهم الوحيد

لم تكن الشهيدة تمتلك في قلبها إلّا الهمّ المقدّس، وهو هم العقيدة، وقد انصرفت عن كل هموم الحياة الدنيا ومشاغلها، وكأنّها قد خاطبت الدنيا خطاب جدّها أمير المؤمنين (يا دنيا إليكِ عني) فلم تفكّر في نفسها ولم يكن لديها توجّه لذاتها، وقد عزفت عن الشؤون الإعتيادية التي تهتم بها بنات جلدتها والتي هي أمور أساسيّة في الحياة بالنسبة لغيرها كالزواج والبيت والإستقرار المعيشي مع الزوج المطلوب والتفكير بالمستقبل والحصول على النصيب المفروض للإنسان من متاع الحياة الدنيا.

لم نكن نرىٰ في حياة الشهيدة الاقضية واحدة مركزية هي قضية العقيدة، وما سواها من القضايا كان هامشياً جدّاً في حياتها ومسخّراً للقضية الأولىٰ، وكمثال علىٰ هذه الحقيقة اذكر قضيّة اللباس الذي كانت تحاول أن تجعله موضع قبول الموسرات اللواتي يلتقين بها في بغداد أو في النجف، فقد كانت فلسفة موقفها في هذا الأمر كما تُبين هي ذلك استخدامه وسيلة جذب وخلق صورة طيّبة عن أمثالها من المؤمنات العاملات في نفوس الكثير من النساء اللواتي يرين في حُسن الملبس لوناً

من ألوان الثقافة والذوق ومجاراة العصر، ومواكبة المدنية، ومعايشة لروح الزمان، وكنّ يتصورن إن بنات المتدينين ونساءهم متخلّفات حتىٰ في لباسهن ولا يمتلكن ذوقاً متحضراً، ولا فهماً لورح المدنية المتطورة التي اتحفت الدنيا بكل جديد من انتاج ذوقها المتفتّح علىٰ الحياة.

لقد فهمت بنت الهدىٰ إنّ هذه الوسيلة هي من الوسائل التي تخدم الغاية المقدّسة فسلكتها لا حباً لها ولا رغبة فيها، بل طمعاً في جعلها مقدّمة من مقدّمات أداء التكليف الكبير، الذي هو أيصال كلمة الله إلى الأخريات من بنات الجيل، وحين تنتفي الحاجة إلىٰ هذه المقدّمة أحياناً ترجع بنت الهدى إلىٰ طبيعة ذاتها الزاهدة العازفة عن زخارف الدنيا فنراها في ابسط لباس، ونراها توصي المتدينات اللواتي لا يمتلكن دورها ومسؤوليتها ولم يكن لهُنَّ احتكاك تبليغي ولا نشاط ارشادي بالزهد والإعراض عن الدنيا، ونراها تشرح لهن حكمة لباسها الأنيق الذي تظهر به أمام من تريد أن تدخل إلىٰ قلوبهن من الموسرات من خلال الأمر الذي يستهويهن ويرين فيه ميزة محبّبة من ميزات المرأة المتحضرة.

الضمير الحي

عندما جاء خبر اختفاء السيّد موسى الصدر وهو ابن عم الشهيدة بنت الهدىٰ، وأخو زوجة السيّد الشهيد الصدر، سادت في بيت الشهيدة حالة القلق والإضطراب والتوجس لاختفاء شخصية إسلاميّة مجاهدة هذا من ناحية ومن ناحية أخرى لأنّ السيّد موسى الصدر كان عضداً قويّاً للشهيد الصدر، وكان من أركانه التي يعتمد عليها في الخارج، وكان أحد وسائل ضغطه على النظام الحاكم في العراق، وان فقدان مثل هذه الشخصيّة خسارة كبيرة للجهاد وجهود الشهيد الصدر ووجوده المبارك في العراق، وفي أيام هذه المحنة جاءت أحدى المؤمنات التي تعوّدت أن تزور العلوية بنت الهدىٰ كثيراً، وأن تسألها كثيراً أيضاً حتىٰ كانت الشهيدة تسميها تسمية طريفة (أم الأسئلة) وبدأت الفتاة المذكورة تطرح اسئلتها المعتادة والصريحة، ولم تكن تلك الحالة المضطربة في بيت الشهيد الصدر لتسمح للشهيدة بنت الهدىٰ بحسن التوجّه والإجابة، وأحست تلك الفتاة إنّها قد أساءت الموقف وعدم تقدير الفرصة المناسبة فسكتت علىٰ مضض بعدما لاحظت الحالة النفسية التي تعانيها الشهيدة، وودّعت المكان وانصرفت، وبعد مغادرتها

أخذت الشهيدة هزة عنيفة وأحسّت بأنّها تريد أن تبكي وأخذت تلوم نفسها وعواطفها لأنّها قد اتخذت موقفاً ما كان ينبغي لها أن تتخذه إحساساً منها بعمق المسؤولية وبينت للحاضرات أسفها الشديد للموقف، ولامت الجو المتوتر والحالة العصبية التي كانت تعيشها بسبب القلق علىٰ مصير السيّد موسى الصدر.

ويشبه هذا الموقف موقف روته هي لي ومضمونه إنّ إحدىٰ طالبات المدرسة الدينية للبنات في النجف جاءتها وهي (أي الشهيدة) في حالة متعبة من تلك الحالات العصبية التي يعيشها الإنسان الواعي الرسالي في العراق في جوه الخانق، وكانت الطالبة تريد أن تشتكي من أمر ما، فردّت عليها الشهيدة بنت الهدىٰ إنّها لا يمكنها الآن أن تتكلم بشيء وكان هذان الموقفان كما صرّحت هي قد أثّرا فيها كثيراً، وظلت تحاسب نفسها علىٰ ما صدر منها في حق ذينيك الفتاتين.

الروح الزاهدة

ذكرت لي ـ رحمها الله ـ إنّ أفضل مجالس العزاء الحسيني التي قصدتها للتقرّب إلى الله واستلهام الدروس والعبر التي أراد سيّد الشهداء أن يسجّلها للتاريخ في وقعته الكربلائية الخالدة، كان مجلساً لأحدى النساء

الفقيرات في النجف وكان متواضعاً وبسيطاً ولم تحضر فيه ذوات الترف والموضات وعاشقات الأزياء، تقول إنّها أحسّت في ذلك المجلس بخشوع لم تجده في مجلس آخر، وإنّها بكت بحالة من الإنكسار الفريد للمأساة الحسينية في ذلك الجو البسيط الذي لم تاسره الزخارف والبهارج الماديّة كانت تحس بالضيق الشديد الذي تكتمه أحياناً وتبرزه أحياناً أخرىٰ بأساليب حكيمة من الحالة البذخية التي تعيشها بعض نساء وبنات الشخصيات اللواتي كن يزرنها بمظاهر ماديّة ملفتة للنظر، وكان أكثر حديثهن في أمور اللباس والمسائل الترفيهية حتىٰ أمام الحاضرات للدرس عند الشهيدة، أو لزيارتها للإستماع إلىٰ توجيهاتها وأفكارها، وكانت تتبرّم كثيراً من هذه الحالة، وتضمر في قلبها لوعة شديدة من خوضها علىٰ أن تخلق هذه المسائل تصوّراً في أذهان الحاضرات بأنّ نساء العلماء وبناتهم ربات بيوت فارغات مشغولات بالأمور الدنيوية التافهة كاللباس والتطريز وغيرهما، ولا همَّ لهنّ بعلم أو بفكر أو ثقافة أو أمور عامة تهمّ المجتمع والإنسانيّة، وكانت ـ رحمة الله عليها ـ تتأثر من ذلك كثيراً وتتمنىٰ أن لا يدخل عليها ذلكَ الصنف من النساء ذوات البطر والفراغ، وكانت تقطع

عليهن أحياناً حديثهن في تلكَ الأمور بـذكاء وحكـمة وتحولهن إلى الحديث في أمور هي من شأن أجواء العلم والحوزة والخدمة الإسلاميّة.

النفس الصافية

كـانت الشـهيدة طـاهرة النـفس مـن الغـل والحـقد والشنأن، ولم يلامس قلبها النظيف ألوان المكر والخداع والالتواء، ولا حب الذات، ولا التكبّر والاسـتعلاء، ولم نسمع منها طيلة معاشرتنا لها إنّها بادرت إلىٰ غيبة أحد أو انـتقاصه بـغير عـذر مسـوّغ شـرعي، وإلى الاسـتهزاء بشـخص، أو سـؤال أو مـطلب تـطرحـه واحـدة مـن تلميذاتها. وكان من اروع سجاياها خـلو فـؤادهـا مـن الحسد فلم المس عندها مدة قربي مـنها أي حـالة مـن حالات حسد الغير وتمنّي زوال نعمتهم، وتـفرّدها هـي بالخير دونهم، كانت تدعو للجميع بالخير وترجـوه لهـم من الله وتغبطهم عليه بسرور صـادق مـن صـميم قـلبها وتبتهج له مثل ابتهاجهم وكأنّها جزء منهم، واذكر هنا علىٰ سبيل المثال لا الحصر وإنّني كلّما تـذكّرت هـذا المـثال تألق في نفسي ذلكَ الخلق الإسلامي السامي الذي كانت الشهيدة تتحلّىٰ به وهو طهارة النفس من الحسد وصفاء روحها من شوائب حب التفرّد بالمكاسب والإمـتيازات

وعدم الرغبة في وصولها إلى الآخرين لا سيّما إذا كانت هذه الامتيازات ممّا تنفرد به هي وحدها وكان تفرّدها ذلك يخلق لها إكباراً خاصّاً في النفوس ومن طبيعة ذوي الحسد والمتفرّدين ألّا يسمحوا ولا يرضوا بأن ينافسهم غيرهم فيما تفرّدوا به ونالوا به ما نالوا. أمّا بنت الهدى النقيّة الصافية فإنّها حين تفرّدت بزعامة الكتابة الإسلاميّة النسوية في الساحة العراقية وحظيت من ذلك بوسام شرف رفيع فإنّ نفسها الطاهرة كانت تحركها وبقوة لدعم كاتبة بدأت تظهر في تلك الساحة، ولم تتوان عن إسنادها بكل قوة وكتابة مقدّمة لأوّل كتبها، وكانت تكثّر السؤال منها عن نشاطها الكتابي، وتبارك لها، وتلحّ عليها في بذل المستطاع من أجل رفد دور القلم الإسلامي النسوي دون أن ينتابها أي إحساس ممّا ينتاب الأخريات من الغيرة أو الحسد في مثل هذا المورد بل كانت على العكس تنشرح وتُسر أشدّ السرور إذا ما أهدت لها تلكَ الكاتبة كتاباً جديداً قد طبع لها، وكانت تعرّفها بين الحاضرات وتطريها وكتاباتها وتعتبر ذلكَ نصراً لها، ودعماً لقضيتها وهي القضية التي تبذل العمر والشباب من أجلها.

طبيب دوار وخلق رفيع

كانت ـ رحمها الله ـ تجسيداً حيّاً مصغّراً لدور جدّها رسول الله ﷺ الذي وصفه أمير المؤمنين بأنّهُ: «طبيب دوار بطبه» فكانت كثيرة الحركة والتنقّل بين بغداد والنجف والديار المقدّسة بمسؤوليتها العظيمة مسؤولية الهداية، وكان قلبها ممتلئاً بعشق هذه المسؤوليّة، ولم يكن يوجد إلىٰ جنبه في قلبها الطاهر المتمحّض للإسلام عشق لشيء آخر، كانت دائبة النشاط لا لغرض دنيوي ولا لمتاع ارضي بل لهداية إنسان أو إسناد قضية إسلاميّة، أو مساعدة محتاج، أو إصلاح ذات بين، أو نفوذ هادف في أوساط المجتمع. وكانت كل خطواتها محسوبة مدروسة في ضمن برنامج، وكانت بروحها السامية الطلقة تتألق في ذرى البشر، وكانت في نفس هذا الوقت الذي تبدو فيه مبتسمة منشرحة تحمل في نفسها هم الإسلام العظيم وتطوي بين جوانحها حرارة ذلكَ الهمّ الكبير وهموم الوضع القائم والإنحراف عن المسيرة التي راح الظلم يُطبق علىٰ نهارها ويواري شمسها.

كان بإمكان أي امرأة أن تستفيد من كلماتها وفي أي

وقت كان لأنّ كلّ كلماتها كانت هادفة وكأنّ عليها رقيباً من نفسها قبل أن يكون عليها رقيب من غيرها، وكانت سريعة البادرة قويّة الحس، وكان ذلك يخدمها كثيراً في مسيرتها الإصلاحية، ولا أنسىٰ قول إحدىٰ زائراتها عند مغادرتها منزل الشهيدة (نسينا أن نحضر معنا جهاز تسجيل أو نكتب كل ما قالت).

لقد كانت حليمة عاقلة تقابل الإساءة بالإحسان والعقوق بالغفران، وكانت صامدة راسخة لا تهزّها الرياح العاتية، ولا تحرّكها الزوابع الضاريّة، فكانت تشدّ جراحنا وجراح المتعبات بذلك الصمود الزينبي في أيام المحن، وكنّا نأسو كُلومنا وننسىٰ همومنا في إشراق تلك البسمات عند أدلهمام الخطوب.

والحقّ أقول لقد اجتمعت في شخصيّة الشهيدة من خصال الخير ما لم يجتمع عند الكثير من نسائنا كسمو النفس، وطهارة الروح، وعلو الهمّة، وصفاء الطبع، والمسارعة إلى الخير، والإيثار والتضحية، وبشاشة الوجه، وطلاقة المحيا، فكانت في هذا مثال المؤمن الذي وصفه الإمام علي عليه السلام (المؤمن بشره في وجهه وحزنه في قلبه).

السُبل الحكيمة

كانت تسلك كل السبل الحكيمة للوصول بدورها التربوي إلىٰ غايته وقد وهبها الله من العقل البصير المتدبّر ممّا أعانها بقوة علىٰ تحقيق هدفها المنشود والأمثلة في هذا المجال كثيرة جداً لكنّني أكتفي بذكر مثال واحد وذلكَ إنّ إحدى الفتيات الجامعيات ممّن يجهلن الطريق كانت تلتقي أحياناً بالشهيدة وكانت ـ رحمها الله ـ تحاول إقناعها بارتداء الحجاب ولكنّها كانت تأبى لأنّ الحجاب معناه في تصوّرها وتصوّر المجتمع آنذاك (لبس العباءة) ولذلكَ تبعات ثقيلة، منها وصمها بالرجعية والتخلّف من قبل أعداء الإسلام، فما كان من الشهيدة إلّا أن تقول لها (ليس المهم أن تلبسي العباءة المهم أن تغطي جسمك وكفىٰ فابدأي بلبس الطرحة والمانتو فهذا يكفي) قالت هذا في وقت لم تكن بعد موضة المانتو مطروحة كحجاب بصورة واضحة، وكانت النتيجة أن اهتدت تلكَ الفتاة ثم حيث تعمق إيمانها لبست العباءة واصبحت بعد ذلك أحسن بكثير ممّا كانت عليه، بل وأحسن بكثير ممّن يلبسن العباءة من أول الأمر.

بنت الهدىٰ والتسليم لقضاء الله

لقد وقفت بنت الهدىٰ في وجه النكبات والمصائب والمحن بقلب صامد وجنان راسخ وروح صبور وتسليم كامل عند رحيل خالها آية الله العظمى الشيخ مرتضى آل ياسين كانت الشهيدة أسوة حسنة لمن أراد أن يرى التسليم والانقياد أمام إرادة الله سبحانه متجسّداً في سلوك صاحب المصيبة في ذلكَ الجو العاصف المليء بالعويل والصراخ وكانت لا تعول ولا تولول، وكانت توصي القريبات منها أن يرددن كلمة (لا حول ولا قوّة إلّا بالله العلي العظيم) وتأمرهن بالاستبشار بما ينتظر خالها الكريم من الخير والبركة برحمة ربّ العالمين. وكانت تواسي بنتي خالها ثمّ تعود إلىٰ أمها المريضة لتهدىء من ألمها، وتقرأ علىٰ مسامعها آيات العزاء.

ولا يخفىٰ إنّ والدة الشهيدة هي مثال المرأة المجاهدة الصابرة، وهي ممّن يضرب بهم المثل في الصبر على البلاء، واحتمال العناء فقد جرىٰ عليها من البلايا والرزايا ممّا لا يطاق من فقد الأولاد صغاراً وكباراً، والترمل في حداثة السن، والفقر والحرمان، ومعايشة ضغوط السلطة الجائرة، وملازمة المرض والهموم إلىٰ آخر لحظة من

عمرها الشريف الذي انطفأت شمعته بعد سنين من رحلة الشهيد والشهيدة.

بنت الهدىٰ ونظرة المجتمع

في المدّة التي قضيناها في مدينة النجف كنّا نصطدم في كثير من الأحيان باصدقائنا ومعارفنا، وقد يرون منّا ما ينكرون، ونرىٰ منهم ما ننكر ويستمر النقاش بيننا حاداً مرةً وليناً أخرىٰ، وينتهي بفوز طريق الحقّ أو بتوتر حاد بين الطرفين. واذكر إنّني التقيت ببعض صديقاتي القديمات بعد فراق طويل، فجرى الحديث بيننا عن اوضاع الساحة والحجاب وضغوط السلطة الحاكمة آنذاك على الملتزمين والمتدينين حيث كان الجو متشنّجاً خانقاً لا يدع للإنسان فرصة النطق فضلاً عن الحركة، وحين علمت إحدىٰ هؤلاء الصديقات علاقتي بالشهيدة بنت الهدىٰ قفزت كمن لدغته افعىٰ قالت (إنّ هذه المرأة خطرة) قلت ماذا تقصدين من هذه الخطورة؟ قالت (أنا لا أخاف البعثيين ومطاردتهم وإنّما أخاف منها لأنّها إمرأة معقّدة ورجعية) فابتسمت لمحدثتي وطلبت منها معرفة الحقيقة عن قرب، والفحص بنفسها لا الحكم بناءً على الأقاويل والتصوّرات، ورغبت إليها أن تذهب لزيارة بنت الهدىٰ.

وبعد محاورات جرت بيننا قررت أن تأتي معي بصحبة صديقة لها خريجة كلية الآداب وهي مثل صاحبتها وعلىٰ نهجها في التفكير. وذهبنا سويّاً في اليوم المحدّد إلىٰ بيت الشهيدة حيث كانت ـ رحمها الله ـ موجودة فاستقبلتنا برحابة صدرها وببشاشتها المعهودة حيث يشعر الإنسان من أوّل لقائه بها إنّهُ صاحب الدار، وإنّهُ بيت أهله وأخوته، وترتفع لديه كل الحجب والعقابيل التي صاغها في فكره قبل اللقاء وبعد انصرافنا وجدت صديقتي قد انقلب تصورهما الىٰ عكسه، وحلت في ذهنيهما صورة جديدة للشهيدة بنت الهدىٰ، وراحتا تلعنان التبليغ السيء الظالم الذي كان يلف صورة الشهيدة ويصوّرها إمرأة رجعية قديمة ترفض تطور المجتمع وتمدّنه، وتخالف الحضارة ورقيها، وراحت الصورة الكاذبة التي رسمها الإنحراف والإعلام الظالم.

وقد شاء الله أن تعود هاتان الأختان بالنور والهداية والندم علىٰ ما سلف، وكان لإحدىٰ هاتين الصديقتين قريب في الحزب الشيوعي ومن الذين قضوا سنين في السجن بسبب الإنتماء لذلك الحزب، وعند ذهابها إلىٰ بيته رأها تقرأ في كتب السيّدة الشهيدة كنت قد

اهديتها إياها. تقول الأخت طلب مني تلك الكتب وأصرّ علىٰ قراءتها في ليلة واحدة، فاعطيته الكتب وبعد قراءتها قلت له إن السيّد الصدر يذم حزبك ويفضح أساليبه ويعريه من كل محتوىٰ يخدم البشرية فقال (إنّك لم تذكري لي عزمك علىٰ زيارة هذه الأسرة) قلت: لماذا؟ قال: إنّني مصمّم علىٰ زيارة الصدر مهما كلف الأمر والإعتذار عن أفكاري وأفعالي.

الشهيدة والبداية المرة

وكان ممّا تذكره رحمها الله بأسىٰ ولوعة ذلك الحصار الذي كان يضربه عليها وعلىٰ نشاطها بعض المتحجّرين في بداية نبوغها حتىٰ إنّهم رفضوا أن ينشروا كتاباتها في مجلة الأضواء، وحين وافقوا بعد الضغوط نشروا لها بإسم رمزوا له (أ. ح) يعني (آمنة حيدر).

وخرجت الطبعة الأولىٰ من كتابها الفضيلة تنتصر وقد رمز لمؤلفه بـ(أ. ح) وقد عانت ألوان المرارات في جهادها لكنّها لم تكل ولم تتراجع، وقد عبّرت عن صمودها وصلابتها وصبرها على الآذىٰ في ذات الله والحقّ بقولها:

إسلامنا انت العزيز وكل صعب فيك سهل
ولأجل دعوتك الكريمة علقم الأيام يحلو

الدعوة عامّة للجميع

كانت تقيم مجلساً للدعاء في ليالي شهر رمضان وكان المجلس يضم الكثيرات ومن مختلف الطبقات الثقافية والماديّة، وكان في هذا الجمع بعض النساء العجائز، وكان هؤلاء الأمهات يسألن عن كل شيء ويطرحن حتى الاسئلة الابتدائية ممّا يثير تذمّر بعض الحاضرات ويتمنين أن ينقطع هؤلاء النسوة عن الحضور معهن في المجلس، وصارحن الشهيدة بذلك فابتسمت وقالت: الدعوة للجميع ولا أدري ما الذي يضرّكم من حضور هؤلاء الأمّهات اللاتي يطلبن المعرفة؟ وهل هناك سن محدد لطلب العلم والمعرفة، وهل المعرفة حقّ لأحدٍ دون أحد، إنّ من شأن المبلغ الصادق إن يفتح قلبه لجميع الناس وعلىٰ مختلف هوياتهم وثقافاتهم فما ذنبهم حتىٰ يحرموا من النور وقد قدّم الإسلام أوّل شهيد له امرأة كانت أمّة لأحد المشركين وها نحن نتأسىٰ ونستنير بتلكَ المرأة وموقفها.

الراحة فداءً للمسؤوليّة

في إحدى الليالي المتعبة التي كنّا نعيشها في سجن العراق الكبير، ولا سيّما في مدينة العلم النجف وكان الجو

مشحوناً بالتوتر خانقاً عصيباً ، وكان الطالب ـ أي طالب علم ـ يخاف الخروج من بيته ، وكانت حملات تسفير الطلبة الإيرانيين وغيرهم قائمة علىٰ ساق ، واوباش السلطة وسراق الأمان منتشرون في كل مكان ، وكان الإنسان المؤمن هناك يمشي علىٰ ركام من الألغام والقنابل ، ذهبت إلىٰ بيت الشهيد الصدر في ساعة متأخرة من اللّيل وكنت مرهقة وبحال مضنية وطرقت الباب وكأنّي أطرق باب البيت الذي فيه أبي وأمّي دون أي حياء أو وجل ، ولم أكن أفكّر إنّ هذا الوقت غير مناسب، أو إنّ من في البيت نيام وهم بحاجة إلى الراحة، كنت أحس إنّ في هذا البيت من يداوي جراحي ويخفّف من آلآمي ويأسو كلومي، وان فيه من أجد عنده الراحة من المصاعب ، والحلول لما أعانيه من مشاكل ، وفتح الباب حيث كانت زوجة السيّد الشهيد أم جعفر ، وكانت لم تزل مستيقظة وفي طريقها الى النوم استقبلتني وكأنّها عرفت ما في نفسي وما يخالجني ورحنا نتكلّم بهمس لئلا نوقظ النائمين ، وفي هذه اللّحظة أحسست بوقع أقدام على السُلم فإذا أنا وجهاً لوجّه أمام الشهيدة بنت الهدىٰ وقد بدا عليها إنّها كانت نائمة ، عندها خجلت من نفسي لأنّي سببت لها هذا الازعاج لكنّها

أكّدت إنّها لم تنزعج بل أبدت ارتياحها وإهتمامها بمجئ، وبعد ذلك طرحت الأمر الذي جئت من أجله في هذا الوقت.

اللقاء الأخير

لقد حصل لي آخر لقاء مع الشهيدة بنت الهدىٰ قبل أن يغلق الباب على الشهيد الصدر واهله، ويحاصروا حصار جدّهم في شِعب أبي طالب، كان ذلك اللقاء بعد عدّة أشهر من الفراق امضيتها في مسؤوليّة عمل كانت هي علىٰ علم بها في مدينة (....) وقد جاءتنا الأنباء بإعتقال الشهيد (رض) وبموقف الشهيدة في عملية الإعتقال. خرجت صباحاً من تلك المدينة مع إحدى المجاهدات العاملات لزيارة الشهيدة، وكنّا نتوقّع أن يحيق السوء بنا من زمرة الإجرام التي رأت ذلك البيت الشامخ مصدر الخطر الذي يتهدد وجودها، وينذرها بالزوال، وقد انذرنا السائق الذي استأجرنا سيارته وكان من محبي الإمام الشهيد الصدر وقال لنا عند ركوب السيارة (هل كتبتم الوصيّة).

عند وصولنا مدينة النجف الأشرف اندفعت وبسبب نفاذ الصبر الى الاستعلام من أحد البقالين المجاورين لبيت الشهيد واسمه (....) عن آخر الأوضاع فقال

لي بهمس وخوف (قد افرج بالأمس عن السيّد بحمد الله).

وبعدها ذهبنا الىٰ منزل الشهيد حيث وجدنا الشهيدة وأمّها وكان لنا لقاء حافل بالأشواق والعواطف.

لقد كانت الشهيدة تتوقّع الكثير من الأمور التي حلّت بهم فيما بعد، وكانت تردد علىٰ مسمعي مضامين من قبيل (إنّنا يجب أن نشدّ عزائمنا للمستقبل، ويجب أن نسعىٰ سعي أمّهاتنا المجاهدات، ونتحمّل ما تحملته سميّة وأمثالها من عذاب ومشاق حتى الشهادة، ويجب أن نتوقّع ما لم يكن في الحسبان، إنّني لا أرىٰ هؤلاء يكفّون عنا) وراحت تشرح لنا ما حدث لأخيها الشهيد عند اعتقاله وخروجها بعده وخطابها في الزمرة الظالمة التي اعتقلته، وكيف إنّها لم ترجع إلى البيت حتىٰ أمرها الشهيد بالرجوع فرجعت وقد نكّس الجلادون رؤوسهم خجلاً من موقفهم الدنيء. وقد كان لي ولصاحبتي شرف اللّقاء مع الشهيد الصدر رضوان الله عليه بحضور أمه وأخته، وكان من طيب أخلاقه وسمو تعامله معنا وحديثه الرائع لنا والذي غذىٰ أرواحنا وقلوبنا ما التصق بالذاكرة التصاق أحب الأشياء والأحداث الى النفس وأقدسها إليها وقد قام لنا مستقبلاً ثمّ قام مودّعاً مبيناً

بأدبه الجم وشمائله الرفيعة منزلة المرأة في الإسلام، وإكباره لدورها في الحياة ومكانتها في المجتمع، واعتزازه هو ـ رضوان الله عليه ـ بها، وقد أوضح هذا الإعتزار في جزء من كلامه معنا عندما بيّن دور المرأة المسلمة العراقية ضدّ طغاة بغداد وما عليها أن تفعله في هذا المسير الجهادي وعندها قالت الشهيدة موجّهة خطابها إليَّ: (المأمول منك أن تكتبي لنا عن نساء العقيدة في العراق).

لقد دُهشت الأخت التي كانت معي من رؤيتها الشهيدة، وبلقائها بأخيها الإمام الشهيد، وكانت تعتبر ذلك اليوم يوماً مشهوداً في حياتها لأنّهُ جاءها بأهمّ حدث فيها، وقد تزوّدت من كلام الشهيدة وما شرحته من مواقفها ضدّ الطغاة بأهمّ زاد تتزوّد المرأة الرسالية علىٰ طريق العمل والتضحية في سبيل الله.

حصانة العمل وصمام الأمان

وكان من مواصفاتها الرائعة التكتّم الشديد علىٰ مسائل العمل، وضبط لسانها بدقّة متناهية عن الخوض في الأمور التي تضر بالحركة الجهادية التي تباشرها هي، أو عن الأمور التي تعلمها من نشاط أخيها الشهيد الصدر

ممّا لا يصح البوح به أمام الآخرين.

لقد كانت في هذه الأمور صندوقاً مقفلاً لا تفتحه إلّا بحذر شديد، وفي ضرورات العمل وعند خواصّها اللاتي تعتمدهن بحقّ وحكمة كاعضادها في جهادها.

إنّ الإنسان تستفزّه أحياناً في حديثه مع الآخرين حالات تجعله يبوح بالبعض أو الكثير من الخصوصيات، أو تضطره بعض الظروف للحديث عن أمور خاصة لا ينبغي الخوض فيها علىٰ أية حال، أو تنتابه بسبب الغفلة أو البساطة أو سرعة اطمئنانه تجعله ينفتح على الآخرين، ويعاملهم معاملة الخواص ويخلع لباس المحاذرة، ويدخل مغلوباً علىٰ عقله فيما لا يجوز الورود فيه من القول، أمّا بنت الهدى المهذّبة والتي تكاملت بكمال الإسلام وتربية رائد مدرسة الفضائل العالية فإنّها كانت طيلة صحبتي لها في غاية الحذر وكأنّها قد وضعت نصب عينها قوله سبحانه ﴿خذوا حذركم﴾. وما دامت هي تعلم أسرار أخيها مستهدفة بقوة من قبل عناصر الرصد البعثي لذلك كانت حكمتها وبصيرتها في منتهى المقاومة والصمود والاحتياط.

كانت بعض الحاضرات اللواتي لا تعرف عنهن الكثير ممّا يوجب السكينة اليهن يطرحن اسئلة مريبة ويتساءلن عن أمور خاصة أو يحاولن أن ينفذن من خلال الأحاديث التي تسود المجلس، ولكن هؤلاء الحاضرات يرتطمن بجدار حديدي من السريّة، وتتحطم كل مساعيهن للنفوذ، وربما تكون هناك مساعي من هذا القبيل لم تحصل أمامي ولا أمام غيري بل أمام الشهيدة فقط استهدفها بها النظام بواسطة بعض عناصره الخبيثة في البيت أو في الشارع أو في السيارة أو في المدرسة أو في أي مجال آخر يمكن لعميلاته أن يلتقين بها ويتحاورن معها. وبقيت الشهيدة في كل تلكَ الموارد صخرة الصمود التي تَهشَم عليها رأس المكر الساعي إلى النفوذ إلىٰ ما في قلبها أو قلب أخيها من خلالها فعاد بالخيبة والخسران.

وكانت توصينا بالحذر والكتمان وتحذرنا من الأشخاص الذين لا نرتاح إليهم وان ظهروا بسيماء الصالحين.

وممّا اذكره هنا إنّ امرأة كانت تزور بيت الشهيد وتحاول جهدها أن تقدّم خدمة لهم وتسارع في ذلك، وكنّا لا نشك طرفة عين في هذه المرأة بل نحترمها، ونثق

بها، وحدث ان احتجت إلىٰ دخـول المسـتشفىٰ وكـنت بحاجة إلىٰ من يرافقني فأبدت هذه المـرأة اسـتعدادهـا لمساعدتي، والحقيقة إنّني فـرحت بـذلك كـثيراً لأنّـني وجدت ضالتي، لكنّني اصـطدمت بأمـر الشـهيدة الذي ينهاني عن اصطحاب هذه المرأة، وعجبت أشدّ العـجب لهذا النهي، فانصرفت عن الأمر.

وتمضي الأيام ويـنكشف النـقاب عـن تـلك المـرأة ونتبيّن حقيقتها التي كانت تتكتم عليها وإنّها مـن الذيـن يساعدون النظام ويعطونه المعلومات عن الواردين إلىٰ بيت السيّد الشهيد الصدر.

وعدت فصدقت الوعد

ما سمعته منها وقرأته لها حتىٰ في شعرها قول كـانت تردده وكأنّهُ يخرج من أعماق قلبها ويـقرأ فـيه السـامع انفاس التصميم القاطع ويرىٰ لهجة الصدق قويّة شامخة تؤذن بالتحقّق وتنبيء بالوقوع، كانت تقول (لا أريد أن أهرم ويترك الزمان عليَّ أثره بل أنـا التـي تـترك عـليه أثرها). قالت والزمان نافر جامح قد أبىٰ بعوامل سلطته ونفوذه إلّا إن يقهرها، ويغلب إرادتها ويـجعلها تسـلس لأمره، وتسلم قيادها له، وقد اجلب لهذه خيله ورجله، واعدّ عدّته وشحذ اسلحته، لكـنّهُ حـين واجـهته بـنت

الهدىٰ بقوة الصبر، وصلابة التجلد، وصمود الاحتمال، واقتدار الاحتساب، والتوكّل على الله في بطولة الإيمان، وحماسة التقوىٰ وشموخ اليقين، استخذىٰ استخذاء المستسلم الذليل وأسلم معصميه لأغلال الهوان معترفاً لدىٰ (بنت الهدىٰ) وأباح لها أن تترك عليه أثرها الذي أرادته فسجلت علىٰ جبينه نصرها المؤزر وسجل لها هو بميسم الذل اعترافه بالاستسلام، وكان سعيه معها ليترك أثره عليها كدبيب نملة علىٰ صفوان، أو رمي حجر في وجه بركان، لقد قالت وكانت عند قولها:

قسماً وان جهد الزمان	لكي يثبط ليَّ عزماً
أو حاول الدهر الخؤون	بأن يريش إليَّ سهماً
وتفاعلت شتى الظروف	تكيل آلاماً وهماً
فتراكمت سُحب الهموم	بأفق فكري فادلهما
لن انثني عما أروم	وان غدت قدماي تدمىٰ
كلا ولن أدع الجهاد	فغايتي أعلىٰ واسمىٰ

استغلال الوقت للأمور المهمّة

كنّا نقيم بعض المجالس في فترات متباعدة وتكون الجلسة كل مرة في بيت إحدى الأخوات المؤمنات، وبديهي إن مضيفة الجلسة تستعد لها وتقوم بتهيئة المكان

وإعداد ما تقدمه للحاضرات حسب ذوقها وانطباعها عن الجلسة وكنّا في يوم من الأيام في بيت الأخت (....) وكانت من اللواتي يتأثرن كثيراً بالشهيدة ويستمعن لنصائحها، وكان إعدادها للحاضرات متوسطاً، وفيما هي تقدّم لهن ما أعدت قالت لها الشهيدة وبطريقتها المعهودة من التبسّم ولين الكلام ودماثة الخلق (ليتك في هذا الوقت الذي بذلتيه في إعداد الساندويج والكيك وإعداد الشاي كنت اكتفيت بتهيئة الشربت والشاكولات وصرفت وقتك الثمين في إعداد موضوع هادف تطرحينه على الحاضرات فلا يضيع وقتهن سدىٰ، ويرجعن إلىٰ بيوتهن بمنفعة حقيقيّة وفائدة واقعيّة) وبهذا أرادت بنت الهدىٰ أن تعطي الحاضرات درساً كبيراً وموعظة ناجحة عن الطريقة التي ترتب بها الجلسات والحفلات واللقاءات المثمرة والمرضية عند الله وتلك هي التي يغمرها ذكر الله والعمل الصالح، والتواصي بالحقّ والصبر. لقد كان وقت بنت الهدىٰ كلّه للخير وكانت تسعىٰ جهدها أن تشغله بالأمور المهمة والقضايا الكبيرة، وبتحصيل العلم، وتنوير العقل، ويلازمها هذا الشغف المشهود بالمعرفة حتىٰ في المطبخ حين نراها تلازم كتابها فيه وتصطحب المصادر التي تطالع فيها

لغرض التأليف الىٰ ذلك المكان كي لا تضيع منها دقـيقة واحدة بعيداً عن عالم الكسب الحقيقي وحـصاد الخـير الواقعي.

لقد كان كل وقتها ونشاطها للعبادة الصادقة، ذكر الله، وتحصيل العلم، ونشر الهداية والمعرفة، والسعي الحثيث في طريق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله حقّ جهاده، وتعريض النفس للمحن والصعاب فداءً للقضية المقدّسة قضيّة الإسلام»

انتهىٰ ما اردنـا نـقله عـن الأخت الفـاضلة المـجاهدة أم تـقىٰ الموسوي حفظها الله وشكر لها سعيها.

❊ ❊ ❊

الفصل الثاني

جهادها الثقافي والتبليغي

* ❋ استعراض عام
* ❋ دور الشهيدة الثقافي

(١) مدارس الزهراء

(٢) التدريس وإقامة الندوات

(٣) الكتابة والتأليف

(٤) رحلاتها للحج

(٥) دور الربط بين المرجع والمراجعات

استعراض عام

إنّ هذا الفصل من حياة السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ فصل يستحق الإهتمام البالغ من قبل الأمّة، والمعنيين بتوثيق التاريخ وتدوينه.

إنّ منبع هذه الأهميّة تنشأ من إعتبارات زمانيّة ومكانيّة، وظروف سياسيّة وأمنيّة لم يشهد لها التاريخ ـ التاريخ المنظور على الأقل ـ مثيلاً، ولهذا السبب فأنا أعتقد إنّ بنت الهدىٰ ـ ظاهرة ـ تستحق الإهتمام والدراسة. لا أقول هذا من منطلق معرفتي لأهميّة دورها وما قامت به، أو بدافع عاطفي بسبب معايشتي لواقع المأساة التي تجرعت مرارتها الشهيدة بنت الهدىٰ في مشاركتها لأخيها السيّد الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ في صراعه المرير مع تيارات الإلحاد والإجرام التي واجهها بشجاعة وثبات حتى الإستشهاد. بل لأنّ الشهيدة بنت الهدىٰ كانت بذاتها تمثّل المرأة الرائدة التي أدركت واجبها تجاه دينها ومجتمعها، فوقفت موقفاً

ريادياً مبدئياً يفرض بطبيعته أنّ يُنظَر إليه نظرة تأملية ويُدرس دراسة وافية وشاملة.

وإذا أردنا إنّ نستعرض هذا الفصل المجيد من حياة الشهيدة بنت الهدىٰ فيجب أن نحيط بعدة حقائق أساسيّة تلقي الضوء علىٰ أهميّة ما قامت به من أعمال على الصعيدين الثقافي والجهادي وكنا قد أشرنا إلىٰ مجمل تلك الظُروف والحقائق فيما سبق، وهنا نقول: لقد عملت الشهيدة بنت الهدىٰ ـ ثقافياً وجهادياً ـ في مرحلة من أحرج مراحل العمل وذلك للأسباب التالية:

١ ـ إنّ العمل الثقافي النسوي بالمستوى الذي انتهجته الشهيدة بنت الهدىٰ لم يكن مألوفاً في المجتمع العراقي آنذاك، ولا أقصد بالعمل ما نعرفه من نشاطات نسائية في محرم وصفر لا تحمل أيّ لونٍ من التفقّه في الدين والتعرّف علىٰ حقائقه وتطبيق أحكامه، وإنّما هي مجرد مجالس ساذجة وبسيطة تتلىٰ فيها قصائد حسينيّة وقصص ومفاهيم أكثرها لا تحقّق الهدف الصحيح.

إن الشهيدة بنت الهدىٰ عملت في هذا المجال علىٰ مستويين:

المستوى الأول: هو نشرُ ثقافةٍ إسلاميّةٍ واعيةٍ تعكس الوجه الصحيح للإسلام، وهي الثقافة الفكريّة والفقهيّة العامة. ويتجلىٰ هذا بوضوح فيما تركته لنا من كتابات قيّمة وآثار خالدة.

والمستوى الثاني: وهو ما يمكن أنّ نسمّيه بالثقافة التي تدعو إلى الإيمان بالإسلام كرسالة يجب أنّ تُطبق علىٰ

كافة مناحي الحياة الإنسانيّة وجوانبها. وهي الثقافة الواعية الصحيحة على أساس ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فاولئك هم الكافرون﴾.

إنّ معظم ما كتبته بنت الهدىٰ كان يشير إلىٰ هذه الحقيقة، أو يدعو لها بالشكل الذي كان يُناسب تلك المرحلة ـ الستينات والسبعينات ـ وهي مرحلة كان فيها الوعي الإسلامي لا يزال ضعيفاً إلىٰ درجة كبيرة.

ولقد أدرك بعض ـ الخبثاء ـ مغزىٰ كتابات بنت الهدىٰ، فاتّهموها بالإنتماء للأحزاب الإسلامية، وكاد هذا الإتهام أنّ يأخذ طريقه لتحطيم شخصيّة الشهيدة بنت الهدى، إلّا إنّها وبتوجيه من سيّدنا الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ استطاعت إخماد النار قبل أنّ تضرىٰ. وكانت ـ رحمها الله ـ تقول: إنّ بعضاً من النساء امتنعن من إقامة علاقات معي أو قطعن علاقتهن بيّ لِما بلغهن من أنّي منتمية إلىٰ حزب إسلامي.

والواقع إنّ الشهيدة بنت الهدىٰ لم تكن يوماً منتمية إلىٰ حزب إسلامي وإنّما كانت تعمل في ظل توجيهات سيّدنا الشهيد الصدر، وهي أيضاً مقتنعة بما كانت تعمل، ومؤمنة بما كانت تدعو إليه، فهي الّتي تقول:

اختاه هيا للجهاد وللفدا وإلىٰ نداء الحق في وقت الندا
هيا اجهري في صرخة جبارة إنا بنات محمّد لن نقعدا

إنــا بــنات رســالة قـدسية حملت لنا عزاً تليداً اصـيدا[١]

ومن شعرها الذي يشير إلىٰ هـذا التـوجّه قـصيدتها المـعروفة التالية:

قسماً وان مُلىء الطـريق	بـما يـعيق السـير قـدماً
قسماً وان جـهد الزمـان	لكــي يـثبط فـيّ عـزماً
أو حاول الدهر الخئوون	بأن يــريش اليّ ســهماً
وتفاعلت شتى الظـروف	تكــيل آلاماً وهـــماً
فتراكمت سحب الهـموم	بأفــق فكـري فـادلهما
لن انـــثني عــما أروم	وان غدت قدماي تـدمىٰ
كــلا ولن أدع الجــهاد	فـغايتي أعـلىٰ واسـمىٰ

ولنا أنّ نقدّر أهميّة هذا الوعي إذا علمنا أنّ هذه القصيدة كـتبت في السبعينيات حين كان المجتمع الذي تـعيش فـيه فـي سُـبات عميق.

واستطاعت الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ أنّ تشق الطريق وتواصل المسيرة، وتتحمّل أعباء النهضة النسويّة الواعية بـبراعـة وذكاء، وثبات وعزم حتىٰ وصلت إلىٰ بعض ما كانت تطمح إليه من نهوض ثقافي رفيع للمرأة المسلمة.

---

(١) كلمة ودعوة للشهيد بنت الهدىٰ ص ٨٢.

٢ ـ وكانت الظروف السياسيّة والأمنيّة السائدة في الحقبة التي مارست فيها الشهيدة بنت الهدىٰ جهادها ونشاطها من أتعس الحُقب التي عرفها العراق وخاصة الفترة التي بدأت من إنقلاب ١٧ ـ ٣٠ تموز ١٩٦٨م وحتىٰ يوم إستشهادها، هذه الفترة السوداء من تاريخ العراق يعتبرها العراقيون وخاصة المتديّنون منهم فترة الظلام. وكنا قد استعرضنا بعض تلك الظروف وممارسات السلطة العفلقية وأساليبها الإجرامية في التنكيل بالمؤمنين واضطهادهم وقهرهم في كتاب [الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار].

وما من شك إنّ قسماً كبيراً ممّا تعرّض له سيّدنا الشهيد الصدر ـ رحمه الله ـ قد تعرضت له الشهيدة بنت الهدىٰ، إمّا بشكل مباشر أو غير مباشر، وإنّ ما كان يتعرّض له السيّد الشهيد من أخطار كان يشمل الشهيدة بنت الهدىٰ كذلك، وللحقيقة أقول إنّ من الأمور التي كانت تقلق السيّد الشهيد الصدر في تحركه وجهاده هو مسؤوليّته في الحفاظ علىٰ سلامة أخته الشهيدة بنت الهدىٰ باعتبارها امرأة ـ والمرأة هي العِرض الذي يجب أنّ يحمىٰ ـ وإن كان ذلك لم ينعكس عمليّاً علىٰ ما انتهجه واعتقده من ضرورة مواجهة السلطة.

وقد يستغرب البعض ذلك، إلّا إنّ من يعرف السلطة التي تحكم العراق وطبيعتها الإجرامية يدرك منشأ القلق، إنّ هذه الطغمة المجرمة اسوأ من الطغمة التي تكالبت يوماً علىٰ سيّد الشهداء الإمام الحسين عليه‌السلام، وإذا كان نداء الحسين (يا ابن سعد أنا الذي

أقاتلكم وتقاتلوني والنساء ليس عليهن سبيل فامنعوا عُتاتكم وجهّالكم من التعرض لحرمي) قد منع ابن سعد من قتل سيّدتنا ومولاتنا زينب عليها السلام فان ألف نداء لن يمنع صداماً من التنكيل ببنت الهدى لأن المجرم لا يؤمن إلّا بالتنكيل والقتل والتعذيب، فهذه السجون تشهد وهذه حلبجة ومدن إيران التي هدّم البيوت علىٰ أهلها وأخيراً هذه الكويت التي استباحها وكأنه استباح الكيان الصهيوني واعتبر جريمته مأثرة تاريخية أسماها بـ(أم المعارك) وكان من جملة جرائمه في غزوة الكويت اختطافه للنساء وتعذيبهن وقتلهن إنّ هذه حقائق معاصرة موثّقة في أفلام تسجيلية وليست إتهامات فارغة. والذي أقصده هنا إن السيّد الشهيد الصدر كان يعرف هذه الحقيقة عن النظام قبل الآخرين، وكانت الشهيدة تعرف هذه الطبيعة الإجرامية منذ وقت مبكّر، وفي ظل هذه الأجواء كانت تعمل وتجاهد منطلقة بوحي ممّا تشعر به من مسؤولية وتكليف شرعي.

واتذكر إني قلت لها في الفترة التي سمحت السلطة فيها للعائلة بالخروج أثناء فترة الحجز: إنّ بامكانك وبالتنسيق مع السيّد الشهيد الإختفاء لأن السلطة سوف لن تتركك إذا قتلوا السيّد ويكفي لأدانتك الخطاب الذي القيتيه صباح السابع عشر من رجب.

«فقالت: كلا سابقىٰ مع أخي لا لأنه أخي بل للواجب

الشرعي فأنا كنت قد بايعته ، والبيعة علـى المـوت لا على الحكم ومظاهره ، ثمّ ماذا سأقول لله تعالىٰ غداً إذا سألني عن بيعتي ؟ أضف إلىٰ ذلك فإن اختفائي سوف يزيد من تشدّد السلطة في مراقبتها للآخرين . ثمّ قالت إني لو فعلت ذلك وعلم به الناس فسوف يفسرونه بإننا خفنا أو جزعنا من الحجز وأنا والله لست كذلك وسابقىٰ صابرة حتىٰ يحكم الله» .

وكنت بين الحين والحين أطلب منها هذا الأمر بشكل وآخـر ، لأنني كنت أعلم إنّ رغبة السّيد الشهيد ـ رحمه الله ـ قريبة من هذا فانه كان يتمنىٰ أن يحجز وحده من دون العائلة تخلّصاً من الضغط النفسي الذي كان يشعر به تجاههم ، وكان يقول : إنّ هؤلاء لا ذنب لهم لقد حجزوا بسببي .

إنّ السـلطة لا تـعرف الحـدود والمـقاييس ، ولا مكـان للـقيم والنواميس في قاموسها . وكانت الشهيدة بنت الهدىٰ تـعرف أن لا حصانة تحميها من بطش السلطة وانتقامها ، ومع ذلك أصرّت علىٰ أداء تكليفها الشرعي وواجبها الديني .

دور الشهيدة الثقافي والتبليغي

كان للسيّدة الشهيدة ـ رحمها الله ـ عدّة أدوار رئيسية علىٰ صعيد

الجهاد الثقافي والتربوي والتبليغي نستعرضها هنا بإختصار:

أوّلاً: مدارس الزهراء عليها السلام

تعتبر السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ من المؤسسين أو المساهمين في إنشاء مدارس الزهراء في بغداد والكاظمية والنجف ـ لعل ذلك كان في عام ١٩٦٧م ـ ولم يكن الهدف منها سد حاجة المجتمع من المدارس الإبتدائية والثانوية فإنّ المدارس الحكومية كانت كافية لاستيعاب كل ما هو موجود من طالبات، وإنّما كانت هناك ضرورات أُقتضت إنشاء هذه المدارس، منها مواجهة الثقافات المادية التي تدعو إلى الفساد والإنحراف والتردي الأخلاقي، ومنها السعي لنشر الثقافة الإسلامية الصحيحة والوعي الذي يجب أن ترقى إليه المرأة.

إنّ ممّا لا شكَ فيه إن [المدارس] من أفضل الأساليب التي يمكن من خلالها تربية الأجيال وتثقيفهم، وهي الأُسلوب الذي يناسب العصر ويلبي متطلباته.

لقد استُحصلت الموافقة علىٰ إنشاء هذه المدارس واعتُمدت نفس المواد الدارسية في المدارس الحكومية، سواء في الابتدائية أو الثانوية، لكي لا يعيق ذلك الطالبات من مواصلة دراستهن بعد إنهاء الدراسة في مدارس الزهراء، واضيف إلىٰ ذلك عدّة مواد منها دروس في العقيدة والتربية الإسلاميّة بشكل مكثف ورصين.

تقول الأخت وجيهه الصيدلي وهي مديرة لمدارس الزهراء في مقال لها ما هذا نصه[1]:

«الإتجاه الثاني الإهتمام والعناية بتربية النشىء الجديد من الفتيات تربية إسلامية هادفة، وهذا لا يتم إلّا من خلال إيجاد مدرسة إسلاميّة تتخصص وتهتم بهذه المسؤولية وتمارس مهامها لتخريج جيل واع ومتدين من الفتيات المؤهلات، يتحمّلن مسؤولية البناء في المجتمع وليعطين الصورة الحقيقية للمرأة المسلمة العاملة والواعية لمسؤوليتها الحياتيّة أولاً، ولبناء الركيزة الأساسيّة للمجتمع المسلم وهي العائلة المتديّنة الواعية لدينها وواجباتها. فقد ساهمت الشهيدة في تأسيس مدارس أهليّة رسميّة تتبع المنهج الحكومي إلّا إنّها تضيف عليها مادتين أو أكثر بغية تربية النشىء الجديد، تُدرّس فيها مدرسات جامعيات ذوات كفاءة علمية عالية ومزايا خاصة وهو الإلتزام الإسلامي كي يكنّ قدوة للطالبات، وسمّيت هذه المدارس بمدارس الزهراء عليها السلام الأهلية للبنات، وكان مقرّها بغداد ـ الكاظمية ـ وتحتوي على روضة

---

(١) المنبر العدد ٢٤ ص٨.

للأطفال، ومدرسة ابتدائية، ومدرسة ثانوية. فكانت تقوم بمهمة تدريس الدروس الإسلامية (العقيدة ـ التربية الإسلامية) لطالبات الثانوية والصفوف العليا للإبتدائية. والدور الأهم هو إعطاء ثقافة إسلاميّة هادفة للمعلمات والمدرسات وكانت تعقد ندوات خاصة بعد انتهاء دوام المدرسة حيث يكون الحضور إلزامياً.

لقد حقّقت هذه المدارس نسبة نجاح كبير (في الإمتحانات الوزارية) بين المدارس الحكومية حتىٰ اشتهرت بسمعتها العلمية والتربوية وتزايد إقبال الناس عليها لدرجة أصبحت معها الصفوف لا تستوعب الطالبات، ولعبت بنت الهدىٰ دور المشرف والموجّه لهذه المدارس وكانت تأتي ثلاثة أيام في الأسبوع فيما كانت تقضي الأيام الأُخرىٰ في مراكز التعليم في النجف الأشرف...».

لقد أثمرت جهود الشهيدة بنت الهدىٰ فكان نتاجاً طيباً مباركاً رغم قلّة الإمكانات، ورغم المضايقات الأمنيّة والسياسيّة والإجتماعيّة تقول السيّدة وجيهة الصيدلي في نفس مقالها:

ومن المفرح أن أرىٰ هنا في بريطانيا ـ وكذلكَ في الخليج ـ مجموعة من خريجات مدارس الزهراء، وأنا

مسرورة جداً لأنّهن حقّقن أمل الشهيدة ـ كم كانت تتمنىٰ أن ترى الزهور اليانعة في المدرسة أمّهات رساليات وزوجات مجاهدات ـ جهاد المرأة حسن تبعلها ، بل تأكد وتحقّق ما عملت من أجله بل وضحّت بنفسها الزكية . لقد أصبحت الزهور اليانعة موضع افتخار وشاهد عيان علىٰ تجربتها في مدارس الزهراء عليها السلام الأهلية . . .» .

وبالإضافة إلىٰ ما كانت تحقّقه مدارس الزهراء عليها السلام من مستوى دراسي رفيع للطالبات فإنّها حقّقت لشريحة كبيرة من المجتمع النسائي إمكانيّة التعلم ، إذ إنّ بعض الفتيات كُنّ يمتنعن من دخول المدارس الحكومية بسبب قناعتهن بإنّ المدارس الحكومية ما هي إلّا وسيلة للوصول إلىٰ إفسادهن ، فكانت مدارس الزهراء عليها السلام البديل الذي وفّر لهذا القطّاع الكبير فرصة التعليم الديني والثقافي العام .

وما من شك فإنّ الشهيدة بنت الهدىٰ بذلت جهداً جباراً في إستمرارية هذا المشروع المبارك كلّفها الكثير من المال والوقت والصحة ، فكانت تتنقل بين بغداد والنجف تدرّس وتشرف وتوجّه ، وبهذا الصدد تروي السيّدة أم فرقان في كتابها (بطلة النجف) شيئاً عن جُهد الشهيدة في تلكَ الفترة فتقول :

«حدثتني قائلة : إني كنت أمضي النهار في إدارة

المدرسة ، وظهراً أقوم ببعض الأعمال المنزلية ، وفي العصر أدير الجلسات في البيت بتدريس الفقه ـ شرايع الإسلام ـ وبعد انتهائي أمضي الوقت في الليل بقرائة الكتب الإسلاميّة والثقافيّة والفقهيّة . . .»[١] .

وتقول أيضاً :

إنّني لكثرة أشغالي وانهماكي في العمل كنت أصلي صلاة الظهر والعصر بوضوءِ صلاة الصبح . . . وفي بعض الأحيان أصلي صلاة المغرب والعشاء بوضوء صلاة الصبح أيضاً . . .»[٢] .

وبسبب ما اتّسمت به مدارس الزهراء عليها السلام من مستوىً رفيع شاع صيتها في المجتمع فنالت الاحترام والتقدير وكان هذا أحد الأسباب الذي حرّض السلطة علىٰ إصدار قرار عام ١٩٧٢م يقضي بالحاقها بوزارة التربية والتعليم ونقل مسؤولية الإشراف التام عليها إلى الوزارة وفي هذا التاريخ انسحبت السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ ورفضت الإستمرار بالعمل .

ثانياً : التدريس وإقامة الندوات

كان للسيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ منهج واسع في

---

(١) بطلة النجف : ص٤٦ .

(٢) بطلة النجف : ص٣٠ .

المجال التثقيفي، ويعتبر التدريس من أهم فقراته.

والمشكلة التي كانت تعترض الطريق طبيعة الكتب الدراسية الحوزوية التي لم تكتب للتدريس والمفتقرة إلىٰ منهجية واضحة تعين الطالب علىٰ استيعابها وفهمها، إضافة إلى الطباعة السيئة والكتابة المتشابكة وهو ما يصطلح عِليه بـ(الطباعة الحجرية).

وإضافة إلىٰ ذلك فإن المواد الدراسية العلمية في الحوزات لها طبيعتها المتميّزة ومصطلحاتها الخاصة، وهي عادةً غير مألوفة ولا معروفه لقطاعات كبيرة من الناس، ولا يمكن فهمها من دون الرجوع إلىٰ استاذ مقتدر.

إلّا إنّ الشهيدة بنت الهدىٰ استطاعت أن تتغلب علىٰ تلك المشاكل بسبب قربها من أخويها المرحوم السيّد إسماعيل الصدر، وشهيدنا الخالد السيّد الصدر ـ قدس الله سرهما ـ فاستطاعت أن تتجاوز كل تلكَ المشاكل بجدارة، وتمكّنت من الإحاطة بالمواد العلمية الحوزوية ـ الفقهيّة والأُصوليّة خاصة ـ ممّا مكّنها من التدريس بكفائة عالية.

وكان الهدف الحقيقي من إقامتها لحلقات التدريس في البيت ليس فقط تثقيف طالباتها وإنّما إعدادهن لتحمل المسؤولية في المستقبل لممارسة نفس الدور، وخلق طاقات علمية نسائية قادرة علىٰ إيجاد حوزات علمية نسائية تتحمّل دوراً كبيراً في نشر الثقافة الإسلاميّة من مصادرها النقيّة الصحيحة.

واستطاعت ـ رحمها الله ـ أن تقطع شوطاً كبيراً وتوسّعت حلقات التدريس وتعدّدت إلّا أنّ الظروف الأمنيّة وحساسية السلطة حال بينها وبين الإستمرار بالشكل الذي كانت تطمح إليه، فاقتصرت في أواخر أيام حياتها علىٰ عدد محدود من الطالبات التي كانت تثق بهن.

وإلىٰ جانب التدريس نظمت الشهيدة بنت الهدىٰ ندوات ثقافية دينيّة عامّة تطرح فيها الأفكار الإسلاميّة بأساليب تنسجم مع متطلبات العصر ومقتضياته، وقد نالت ندواتها نجاحاً منقطع النظير، وإقبالاً من مختلف الطبقات النسويّة.

وقد تحدّثت مرة عمّا كانت تطمح إليه في مسألة تطوير المجالس الحسينية النسائية إلى المستوى الذي يجب أن ترقى إليه، والدور الذي يجب أن تلعبه في تثقيف الأجيال النسائية ثقافة دينية أصيلة. وكانت هذه المهمة هماً دائماً لها تفكّر فيها وتحاول أن تبرمج ما يمكن من حلول للمستقبل علىٰ أمل أن تُتاح لها القدرة على التغيير.

كما كانت تأمل في إعادة النظر في الإحتفالات التي تقام في مناسبات الزواج بحيث تنسجم مع الأخلاق والآداب الإسلاميّة وتكون مناسبة جيدة لفهم حقيقة الزواج في الإسلام وأهدافه وما يجب أن يكون عليه الزوج وكذلك الزوجة من أخلاق عاليه وانسجام كامل وعدم إهتمام بالأمور المادية. بشكل يحافظ علىٰ

طابع السرور والفرح الّذي تتّسم به تلك المناسبات.

ثالثاً: الكتابة والتأليف

تعتبر الشهيدة السعيدة بنت الهدى الرائدة الأولىٰ في الكتابة والتأليف وإستعمال الأسلوب القصصي في إيصال الأفكار أو التوجيهات. وأقول إنّها (رائدة) لأنّنا لم نعهد في النجف ـ بالرغم من أنّها تضم الحوزة العلمية والمرجعية الدينيّة ـ كاتبة إسلامية سبقت الشهيدة بنت الهدىٰ في هذا المجال.

وهي مع ذلك كانت متواضعة بسيطة لم تستهدف الشهرة وحب الظهور، وكانت حسب ما أعرف عنها تتجاهل كتبها وكأنها ليست لها ولا علاقة تربطها بها فلم نسمع إنّها أفتخرت يوماً بها، أو انشرحت نفسها لمدح مادح، بل كان همّها الكبير هو مقدار ما يمكن أن تخدم به الإسلام أو تساهم في إيجاد الصحوة الإسلاميّة.

وما يؤيّد هذه الحقيقة إنّ الشهيدة السعيدة آمنة الصدر اختارت اسماً لها هو ما نعرفه بها (بنت الهدىٰ) تجنباً للشهرة والرياء وحب الذات، ولم يكن هناك ضير في كتابة إسمها الحقيقي لا شرعاً ولا عرفاً. كما لم يكن ذلك بسبب الظروف الأمنية لأن (جهاز مراقبة المطبوعات) في العراق لا يتعرف إلّا بالأسم الحقيقي لأصدار إجازة الطبع. والسبب فقط هو نكرانها لذاتها وعزوفها عن الشهرة.

بدأت الشهيدة بنت الهدىٰ كتاباتها في مجلة الأضواء التي تصدرها جماعة العلماء، وكذلك في مجلة الإيمان التي أصدرها

المرحوم الشيخ موسى اليعقوبي.

وقد تميّزت فيما كتبت، فنجد كتاباتها تحمل روحاً جديدة وفكراً واضحاً وسلاسة وعذوبة ومعالجات لمشاكل معاصرة، وابتعدت كل البعد عن مظاهر الاستعراضات الفارغة التي تستهدف إبراز الشخصية وحب الظهور والشهرة.

مؤلّفات الشهيدة بنت الهدىٰ:

١ ـ الفضيلة تنتصر.

٢ ـ الخالة الضائعة.

٣ ـ امرأتان ورجل.

٤ ـ صراع.

٥ ـ لقاء في المستشفىٰ.

٦ ـ مذكّرات الحج.

٧ ـ ليتني كنتُ أعلم.

٨ ـ بطولات المرأة المسلمة.

٩ ـ كلمة ودعوة.

١٠ ـ الباحثة عن الحقيقة.

١١ ـ المراة مع النبي

ولها مؤلّفات أخرىٰ مخطوطة صادرتها السلطة الحاكمة في العراق عند مصادرتها لمحتويات بيت السيّد الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ بعد إستشهاده وقد يكون بعضها محفوظاً.

رابعاً: رحلاتها للحج

﴿ واجعل افئدة من الناس تهوي إليهم ﴾.

وكان قلب الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ يهوى البيت الحرام والمشاهد المشرّفة في تلك الديار المقدّسة، كانت إذا حانت أيام الحج تأخذها حالة من الشوق عجيبة وفرحة غامرة تملأ جوانحها فتراها مشدودة بصدق إلى الله عزّوجلّ وكأنّها تريد أن تستذكر بسرعة أيام الإسلام الأولىٰ في مهده الطاهر وتعيش مع المسلمات في عصر الرسالة أعباء حمل الرسالة، وتستمد العزم والتصميم منهنّ.

كانت الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ تذهب إلى الحج كمرشدة دينيّة في إحدى «الحملات» التي تذهب من بغداد أو الكاظمية، تعلّم النساء مسائل الحج وأحكامه فكانت من الناحية الفقهيّة محيطة بفتاوى العديد من المراجع، وكانت تجيب كل حاجّة علىٰ وفق مَنْ تقلّد من المجتهدين، وقد يحدث أن تقع مسائل نادرة وغير موجودة في الرسائل العملية للفقهاء وفي هذا الفرض كانت تتصل هاتفياً بالسيّد الشهيد الصدر ـ رحمه الله ـ لتتلقّىٰ منه الحكم الشرعي.

وكانت إلىٰ جانب ما تقوم به من نشاطات دينيّة في إطار القافلة تسعىٰ كذلك إلى التعرّف علىٰ أوضاع المسلمين في مختلف أنحاء العالم، وتنشر الثقافة الإسلاميّة الصحيحة بما يناسب

الأوضاع حينها.

ومن ذكرياتي عن الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ في هذا المجال إنّها في إحدىٰ السنين طلبوا منها أن تحج نيابة عن امرأة من محافظة ميسان ـ العمارة ـ فطلبت مني مرافقتها إلىٰ تلك المدينة فاستغربت ذلك فسألتها عن السبب فقالت أنا مكلّفة بالحج عن امرأة من العمارة واريد أن أنوي حج النيابة عنها من نفس المكان الذي كانت فيه لتأكيد ابراء ذمّتها، وعلىٰ هذا الأساس تجشمت عناء السفر من النجف إلىٰ مدينة العمارة لتنوي الذهاب الى الحج من هناك نيابة عنها وتعود في نفس اليوم.

خامساً: دور الرابط بين المرجع والمراجعات

وكان للسيّدة الشهيدة دور كبير في الربط بين السيّد الشهيد ـ رحمه الله ـ وبين القطاعات النسائية، فكانت تنقل بأمانة ما يعرض للنساء من مسائل فقهية قد يترددّن بسبب الحياء من توجيهها إلى السيّد الشهيد الصدر مباشرة، تعينها في ذلك في بعض الأحيان السيّدة الطاهرة أم جعفر حفظها الله بحسب المناسبة وطبيعة الموضوع.

ولم يكن هذا هو الدور الوحيد لها بل كانت تنقل له التفاصيل الدقيقة للمجتمع النسائي، المشاكل والقضايا والهموم، ومقترحات لعلاجها وأمثال ذلك.

ولا أنسىٰ إهتمام الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ بكل القضايا

التي كانت تشغل الساحة ومنها القضايا السياسيّة والثقافيّة واخص بالذات خطوات حزب البعث والسلطة الحاكمة للسيطرة على المجتمع النسوي من خلال اطروحات وقنوات أعدّتها كأتحاد النساء والطلائع والفتوه والجمعيات النسائية وأمثالها، وكان أهم تلك القضايا هو مسألة الإنتماء لحزب البعث كشرط فرضته السلطة للقبول في المؤسسات والجامعات أو التوظيف الحكومي.

إنّ هذه المشكلة كانت من الهموم الثابتة في قاموس الشهيدة بنت الهدىٰ فهي تعرف معنى إنتماء المرأة لحزب البعث وما يتبعه من إلتزامات ومظاهر تسخط الله تعالىٰ، وتعرف كذلك ما تعنيه استقالة الموظفة المؤمنة التي ترفض الإنتماء لحزب البعث. وما يسبّبه لها من مشاكل مادّية ومحاسبات أمنيّة، إذ إنّ عدم الإنتماء للحزب يعتبر جريمة كبيرة، فلا حياد فإمّا معي وإمّا ضدّي، وهذه هي لغة السلطة الحاكمة في العراق واسلوبها.

وكان للسيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ عدد من المؤمنات ممّن كُنّ قد انتمين إلىٰ حزب البعث إنتماءً صورياً في زمن لم يكنّ يعرفن إنّ الإنتماء حرام، حيث لا توجد لديهن رؤية واضحة عن هذا الموضوع، فكنّ ينقلن للشهيدة تفاصيل ما يجري في الحزب من مخططات ومؤامرات يحوكها ضد المرأة العراقية والمتدينات منهن بالخصوص، وكانت الشهيدة تنقل ذلك للسيّد الشهيد بدقّة.

وكان هذا من الأدوار الحساسة للسيّدة الشهيدة والمؤثر في

تشكيل رؤية واضحة فيما يجب أن يُتّخذ من موقف للمرجعية في هذا الشأن.

وبهذا الصدد تقول السيّدة وجيهة الصيدلي في نفس مقالها السابق عن أمثال هذا النشاط ما يلي:

«يخطىء من يقول أو يظن إنّ الشهيدة اقتصر عملها على التوجه التربوي والإجتماعي بل كانت تعمل في المجال السياسي بشكل واعٍ ودقيق لظروفها والمرحلة التي تعيشها، حيث كانت تتحرّك ضمن رؤية واضحة المعالم. فكانت تقوم بشرح الموقف السياسي المطلوب آنذاك لجميع من يعمل معها وتعبئة النساء علىٰ مقاومة النظام ومخططاته وأساليبه التي تدعو وتضغط علىٰ النساء عموماً بالإنخراط لحزب البعث، وبالتالي التخلي عن القيم والمفاهيم الإسلاميّة. وساهمت في تربية المرأة على الورع عن محارم الله تعالىٰ، وفي تكوين الروح الجهادية ضدّ أعداء الإسلام..».

وكانت الشهيدة بنت الهدىٰ تستمد رؤيتها السياسيّة النهائية من السيّد الشهيد الصدر نفسه، وكانت في أحيانٍ كثيرة تناقش المواضيع والأحداث معه بصراحة ووضوح، وكان ـ رحمها الله ـ يستمع إليها بدقّة ويحترم وجهات نظرها.

الفصل الثالث

مسيرتها الجهادية

* شريكة المسيرة والمصير
* خطابها في ١٧ رجب واستغاثتها في الحرم العلوي
* موقف بطولي للمرأة العراقية
* الحجز
* الدور النفسي
* دور المراقبة
* مقوّمات قيادية
* مواقف خالدة

هذا الفصل من حياة السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ فصل مشرق وضّاء، جسّد لنا حقيقة الشهيدة الخالدة، وكشف لنا الأبعاد الحقيقية لشخصيتها.

وأنا أعترف للقارىء الكريم إنّني ورغم الفترة الطويلة التي عشتها مع السيّد الشهيد الصدر واخته المظلومة لم أعرف بنت الهدىٰ كما عرفتها خلال التسعة أشهر الأخيرة من حياتها المباركة. وكأن ما رأيت حلمٌ خالطه الإعجاب مع الحزن والحسرة، وخالطته الدّهشة مع الحيرة، فهل حقّاً انتهت حياة تلك العظيمة التي لم نعطها بعض حقّها، ولم نقدّرها حقّ قدرها.

أقول هذا لإنّني موقن إنّ المحن والصعاب هي التي تكشف عن حقيقة الإنسان، وتفصح عن أبعاده الواقعيّة، وصلابة إيمانه، وليست أيام الدعة والاستقرار التي تكتنفها الضبابية وتختلط فيها الأوراق السوداء والبيضاء، وتختل فيها الرؤية.

أشياء كثيرة هزتني وجدّتها في بنت الهدىٰ أيام المحنة:

إيمان لا تزعزه الجبال...

وعزم لا تفتّه العواصف...

وعقل لا يغيب عنه التقدير الصحيح...

وثبات كالجبال الرواسي...

وعاطفة تستوعب ما يصعب استيعابه...

تتعامل مع المشاكل بروح قيادية منفتحة مرنة واثقة من صحة موقفها، مع حزم وقوة وثبات ووضوح في الرؤية.

وإني علىٰ يقين إنّ كل ما أكتب عن هذه السيّدة المظلومة لا يرقى إلىٰ ما يجب أن نعرف عنها، وليس الذنب ذنبي، وإن كان ذنبي أو تقصيري فقد شاركني فيه المجتمع والمحيط والعادات والتقاليد والإهمال العام الذي تربىٰ عليه مجتمعنا في معرفة من يجب أن نتعرّف عليه ونفي له بحقّه وما يجب علينا تجاهه، وعلىٰ كل حال فلنقف مع هذه الصفحة من تاريخها المجيد، ومواقفها الرائعة، عسىٰ أن يكون البداية لما نأمل ونرجو من الوفاء للحقّ وأهله، ومهما فعلنا من مظاهر الوفاء وأشكاله يبقىٰ دمها الزكي ديناً في رقابنا، وأمانة في أعناقنا، ومسؤولية تطالب الأجيال بالثأر الحقيقي لدمها الذي اريق من أجل الإسلام ونحن شهود عليه وهي شاهدة علينا.

ولنقف مع هذه الصفحة الخالدة المليئة بالمواقف المبدئية النابعة من إيمان عميق، وإعتقاد راسخ.

شريكة المسيرة والمصير

إذاكان لأحدٍ أن يعتز بمشاركته لسيّدنا الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ في مسيرته الجهادية فلا يعدو ذلك الشهيدة بنت الهدى رحمها الله.

لقد كُتب لها ذلك، وكانت أهلاً له...

شاركته اليتم والفقر والحرمان في مراحل الطفولة الأولىٰ، وشاركته ما كابد من هموم ومشاكل ليس بمقدور كل احد استيعابها، وشاركته الصراع المرير مع سلطة جبارة عاتية كفرت بكل القيم والموازين فوقفت معه في صف المواجهة الأول في انتفاضة رجب عام ١٩٧٩م، وشاركته شرف الإستشهاد في غرف الأمن العامة في بغداد، وشاركته قبره في النجف الأشرف.

إذاً لها الحقّ ـ للأمانة التاريخيّة ـ أن تعتبر شريكة شهيدنا الخالد السيّد الصدر رضوان الله عليه.

بدأت مسيرة المواجهة الجهادية للسيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ منذ الإعتقال الأوّل للسيّد الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ عام ١٩٧١م ١٣٩٢هـ.

في هذا الإعتقال اقتحمت قوات الأمن المجرمة منزل السيّد الشهيد الصدر ولم يكن فيه إلّا المرحومة والدته وزوجته

وأطفاله واخته الشهيدة بنت الهدى وخادمه محمّد علي محقق وكان ـ رضوان الله عليه ـ في ذلك الوقت تحت العلاج في مستشفى النجف[١].

وهنا كان دور بنت الهدىٰ في حماية عرين الأسد والدفاع عن الصبية والأطفال من الوحوش الكاسرة، ذلك إنّ السيّد الشهيد ليس له من الأولاد إلّا السيّد جعفر حفظه الله، وكان صغيراً أمّا الباقي فهنّ بنات صغيرات كذلك، ولنا أن نتصور حجم المسؤولية وحراجة الموقف للسيّد الشهيد نفسه ولأخته بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ ومع ذلك وقفت الموقف المشرّف القائم علىٰ أساس الإيمان فحفظت الأمانة وأدّت الواجب، بل وذهبت إلى المستشفىٰ لعيادة أخيها وتفقد حاله، ولم تأبه لقوات الإرهاب والإجرام التي كانت تطوّقه.

ودخل إسمها سجلات الأمن لتبدأ صفحات المواجهة الحقيقة التي انتهت بالاستشهاد.

ثمّ جاءت انتفاضة صفر عام ١٩٧٧م ١٣٩٧هـ فتعرّض السيّد الشهيد ـ رضوان الله عليه ـ للإعتقال حسب التفصيل الذي ذكرناه في كتاب (الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار) وكانت تلكَ الأيام من الأيام العصيبة في تاريخ النجف حيث عمَّ الخوف

---

(١) راجع كتاب سنوات المحنة وأيام الحصار ص ٢٠٤.

والرعب كل مكان، وكانت حشود السلطة في كل مكان تعتقل كل من يقع في قبضتها، أمّا بنت الهدىٰ فكانت البطلة التي وقفت دون خوف في رباطة جأش وشجاعة غريبة حتىٰ عاد السيّد الشهيد ـ رضوان الله عليه ـ من بغداد.

وفي رجب عام ١٩٧٩م ١٣٩٩هـ وبعد أن انتهت حركة الوفود وبدأت قوات الأمن المجرمة تتواجد بكثافة لتطويق منزل السيّد الشهيد الصدر تمهيداً لاعتقاله، في هذه اللحظة تجلت لنا الشهيدة بنت الهدىٰ لنتعرّف علىٰ بعض خصائصها الفريدة، وميزاتها الرائعة التي يجب أن نسجلها لها باعتزاز وفخر[١].

كانت ـ رحمها الله ـ ليلة السابع عشر من رجب في حركة دائبة لم تهدأ قط، كانت تراقب حركة الحشود المجرمة بين الحين والآخر، واستمرَّ ذلك حتىٰ أذان الفجر فقالت لي: سيعتقل السيّد في الصباح، فقلت لها ـ ظناً مني إنّها خائفة ـ لعل التحشد بغرض منع الناس من التردد الكثير علىٰ بيت السيّد، فقالت: هل تظن إني خائفة كلا والله فأنا لست خائفة بل كنت انتظر هذه الساعة.

ذَهَبت إلىٰ غرفتها ثمّ جاءت بمجموعة من الصور والرسائل فقالت اريد أن أحرقها لكي لا تقع بيد السلطة، فوضعناها في صفيحة وحرقناها في سطح الدار، وابقت مجموعة صغيرة منها

---

(١) راجع للمزيد من التفصيل كتاب سنوات المحنة وأيام الحصار من ص٢١٣ ـ ٢٢٠.

كانت تعتز بها.

ثمّ جاءت بمجموعة خطيّة من مذكراتها وأحرقتها كذلك فالشهيدة كانت تعتقد ـ بسبب كثرة قوات الأمن ـ إنّ هجوماً كبيراً سيقع صباح هذا اليوم وسوف يعتقل الجميع وليس السيّد وحده فارادت أن لا يقع شيء بيد السلطة مهما كان صغيراً.

ثمّ جاء مدير أمن النجف واجتمع بسيّدنا الشهيد الصدر فاستمعت للحوار الذي دار بينهما.

في هذا الوقت غابت عني السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ فلمّا خرج السيّد الشهيد الصدر مع مدير أمن النجف خرجتُ معه ـ حسب التفصيل الذي ذكرته في كتاب سنوات المحنة وأيام الحصار ـ وإذا بالشهيدة العظيمة قد سبقتنا إلىٰ حيث تقف السيّارة وهنا بدأت خطبتها، فقالت:

«الله أكبر... الله أكبر

انظروا ـ واشارت إلى الجلاوزة المدججين بالسلاح ورشاشات الكلاشنكوف ـ أخي وحده بلا سلاح... بلا مدافع... بلا رشاشات... أمّا أنتم فبالمئات مع كل هذا السلاح.

هل سألتم أنفسكم لِمَ هذا العدد الكبير؟ ولِمَ كل هذه الأسلحة؟

وأخذت تنظر إليهم نظر المنتظِر الجواب تتلفت

يميناً وشمالاً ـ ثمّ قالت:

أنا أجيب... والله لأنّكم تخافون، ولأن الرعب يسيطر على قلوبكم.

والله إنّكم تخافون لأنّكم تعلمون إنّ أخي ليس وحده، كل العراقيين معه وقد رأيتم ذلك بأعينكم، وإلّا فلماذا تعتقلون فرداً واحداً لا يملك جيشاً وسلاحاً بكل هذا العدد من القوات.

إنّكم تخافون ولولا ذلك لما أخترتم إعتقال أخي في هذا الوقت المبكر في هذا اليوم.

ألستم تزعمون إنّ الناس معكم وفي حزبكم؟

ممّن تخافون؟ وممّن تخشون؟ إسألوا أنفسكم؟

من تخدعون؟ أنفسكم أم الناس؟

إنّنا والله لا نخاف من شيء لا منكم ولا من غيركم.

لا نخاف من سجونكم ومعتقلاتكم، ومرحباً بالموت إذا كان في سبيل الله....»

وممّا اتاح الفرصة للسيّدة الشهيدة في الإستمرار بخطبتها أمران:

الأوّل: إنّ عناداً حدث بين الأخ الحجّة الشيخ طالب السنجري ـ حفظه الله ـ وبين قوات الأمن بعد أن ألقىٰ بنفسه في السيّارة مع السيّد الشهيد الصدر ليرافقه إلىٰ بغداد، وكانت قوات الأمن تطلب منه الخروج من السيّارة وهو يرفض رفض المستميت وهذا الأمر

اتاح لها قدراً من الوقت.

والثاني: هو إنّ عطلاً حدث في السيارة أو ان الوقود نفد منها ـ لا أتذكر بالضبط ـ ممّا حداهم إلىٰ إبدال السيّارة بسيّارة أخرىٰ، وهذا أيّضاً أتاح فرصة أكبر.

وعلىٰ كل حال فإنّها في نهاية خطبتها توجهت إلى السيّد الشهيد وقالت له: اذهب يا أخي فالله حافظك وناصرك فهذا طريق اجدادك الطاهرين.

لقد حشّدت السلطة عدداً كبيراً من القوات ـ قوات أمن وقوات حزبية ـ من بعثيين وموظفين ومسؤولين اداريين ومرتزقة ينعقون مع كل ناعق. فلمّا خطبت الشهيدة بدأ هؤلاء بالتفرق شيئاً فشيئاً في الأزقة القريبة في شارع الإمام زين العابدين عليه السلام، وكان أحد المجرمين وأسمه (عارف جلوي) قد شهر سلاحه واراد إطلاق النار عليها ومع ذلك استمرت في خطابها الزينبي.

وكان بعض الحاضرين قد نهرّ المجرم الخبيث ولآمه علىٰ تصرفه.

ووالله لا أدري ما هو السرّ الذي جعل هؤلاء كالفئران تلوذ بجحورها، هل هو وقع الكلمات الصادقة التي كانت تخرج من أعماق طاهرة فترهب تلك القلوب الفارغة من القيم والمبادىء، أم هو الإيمان الذي جعله الله عزّوجلّ سلاحاً للمؤمنين يرهبون به أعداء الله في كل زمان ومكان، أم هي الشجاعة الزينبيّة تكررّت

صباح يوم السابع عشر من رجب ١٣٩٩هـ ١٩٧٩م، أم هو كل هذه الأمور.

إنّ هذا المشهد لا أنساه أبداً واتمنىٰ لو أن كل واحدٍ منكم رآه وكان حاضراً صباح ذلك اليوم.

لقد أذهلني عدد القوات التي كانت قد تجمعت لإعتقال السيّد الشهيد الصدر، فبعد مغادرته إلىٰ بغداد حاول أحد ضباط الأمن اعتقالي فمسك يدي وطلب مني الذهاب معه، وفي هذه اللحظة جاء أحد مساعدي مدير أمن النجف فقال للضابط اتركه الآن، فتركني فعدت إلىٰ بيت السيّد الشهيد الصدر وهذا الأمر عزّز قناعتي بأنّ القضية أكبر من مسألة اعتقال وتحقيق فبادرت إلىٰ إحراق دفتر الوصولات المالية الذي يحتوي علىٰ أسماء أصحاب الحقوق الشرعية الذين سوف يتعرضون للخطر في حال وقوع دفاتر الوصولات بايدي قوات الأمن، وكذلك أحرقت القسم الأكبر من الرسائل الواردة من هذا وذاك والتي تنطبق عليها نفس الخطورة وأشياء أخرىٰ كنت أعلم إنّ السيّد الشهيد كان مهتمّاً بها وطلب إتلافها في حال حدوث مثل هذه الظروف.

أمّا الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ فقد أخبرتني بأنّها ستخرج إلىٰ حرم أمير المؤمنين عليه السلام لتُخبر الناس بإعتقال السيّد رضوان الله عليه.

وفي الحقيقة كنت متخوّفاً عليها لأنّني أعلم إنّ خطبتها وحدها

تكفي لأدانتها في قانون العفالقة فكيف إذا تـجرأت عـلىٰ خـطوة أخرى لا أدري لعلها تكون أكبر من أختها إلّا إنّـها خـرجت، ثـمّ عادت فاخبرتني بأن عدد الناس في الحرم كان قليلاً، وأخـبرتني بإنّها ستذهب مرة أخرىٰ في الوقت المناسب.

فقلت لها يجب أن تتريثي حتىٰ نعرف مـا يـجري للسـيّد لعـل السلطة تطلق سراحه ويعود، ثمّ إنّ خطابك وتحديك للسلطة فتح لك صفحة جديدة في ملفات الأمن، وقد يـؤثر ذلك عـلى السـيّد نفسه.

«فقالت: إن المسؤولية الشرعية والواجب الديني يفرض عليَّ إتخاذ هذا الموقف، يجب أن أفعل شيئاً، هل خُلقنا لناكل ونشرب، إن زمن السكوت قد ولّى، لابدّ أن نبدأ صفحة جديدة من الجهاد والصراع، إن النظام لا يسقط بالسكوت، لقد سكتنا طويلاً وكلّما سكتنا كلّما كبرت محنتنا... لماذا أسكت وأنا أرىٰ مرجعاً مظلوماً يقع في قبضة هؤلاء المجرمين، ألم ترهم وقد تجمّعوا عليه كالحيوانات المفترسة؟ لِمَ أصبر؟ إن اليوم يـوم جهادنا».

قلت لها: إنّ ما قد يصدر مـنك فـي الحـرم قـد يـؤدي بك إلى الإعدام.

«فقالت: الله يشهد إنّي اتمنى الشهادة في سبيله،

لقد قرّرت أن استشهد منذ اليوم الأوّل الذي جاءت فيه الوفود، فأنا أعرف هذه السلطة متوحشة قاسية مجرمة لا فرق في مقاييسها بين الرجل والمرأة وبين الصغير والكبير، أمّا أنا فسواء عندي أعيش أو أُقتل مادمت واثقة إنّ موقفي كان طلباً لمرضاة الله ومن أجله عزّوجلّ».

صرختها في الحرم العلوي

وخرجت مرة أخرىٰ، ولعل ذلكَ بعد ساعة ووقفت عند قبر أمير المؤمنين عليه السلام ونادت بأعلىٰ صوتها:

«الظليمة.. الظليمة

يا جداه يا أمير المؤمنين لقد اعتقلوا ولدك الصدر...

يا جداه إني اشكو إلى الله وإليك ما يجري علينا من ظلم واضطهاد».

ثمّ خاطبت الحاضرين فقالت:

أيّها الشرفاء المؤمنون هل تسكتون وقد اعتقل مرجعكم، هل تسكتون وإمامكم يسجن ويعذب؟

ماذا ستقولون غداً لجدي أمير المؤمنين إن سالكم

عن سكوتكم وتخاذلكم ؟

أخرجوا وتظاهروا واحتجوا...».

فجاءها أحد خدّام الحضرة الشريفة وكان متعاوناً مع السلطة فحاول منعها أثناء ندائها وصرختها، فنهرته وصرخت بوجهه. وقام إليه بعض من كان في الحرم فانهالوا عليه بالضرب، فولىٰ هارباً[1].

موقف مشرّف للمرأة العراقية المسلمة

وللأمانة التاريخية أسجل هنا موقفاً للمرأة العراقية المسلمة، فما أن شاع خبر اعتقال السيّد الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ حتىٰ هرعت بنات الزهراء عليها السلام بالعشرات إلىٰ منزل السيّد الشهيد متحديات كل القوات المجرمة التي كانت تطوق منزله وتعتقل من يقترب منه، ولا انسىٰ إحداهن ـ لا اعرف أسمها ـ إلّا إني أعرف إنّها من أسرة آل فرج الله ـ وهي أسرة علمية شريفة قدّمت الكثير من الشهداء منهم العلامة الحجّة الشيخ عبد الرحيم فرج الله وكان مقرّباً من السيّد الشهيد الصدر ـ كانت تتضارب مع قوات الأمن في محاولة منها لحماية من يريد الدخول إلىٰ منزل السيّد الشهيد الصدر من النساء، وقوات الأمن تمنع بشدّة وقسوة. واستطاعت

---

(١) هذا ما حدّثتني به الشهيدة ـ رحمها الله ـ خلال فترة الحجز وقد طلبت منها تدوين هذا الحدث والذي قبله ولا أدري هل كتبته أم لا.

هذه البطلة المجاهدة أن تتيح الفرصة للكثيرات من دخول المنزل واللقاء بالسيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ.

كما اعتقلت السلطة المجرمة الكثير من المؤمنات سواءً ممّن شاركن في التظاهرة الإحتجاجية التي انطلقت من الحرم الشريف، أو ممّن جئن إلىٰ بيت السيّد الشهيد الصدر، وقد استشهد بعضهن، وأخفت السلطة أثر البعض الآخر الىٰ يومنا هذا.

قد لا يتصور البعض أهميّة وخطورة زيارةٍ لبيت السيّد الشهيد ـ رحمه الله ـ في تلك الظروف العصيبة وقد يقول من يعيش في بلد تسوده الحرية إنّ هذا من الأعمال البسيطة، ولكن في قوانين صدام التكريتي واجهزته القمعية يعتبر ذلك جريمة كبرىٰ وقضية قد تنتهي بالإعدام أو السجن المؤبّد كما حدث لبعضهن.

بعد ذلك نُظمت تظاهرة انطلقت من حرم الإمام علي عليه السلام ساهمت فيها المرأة مع الرجل، وأدّت إلىٰ إجبار السلطة على الإفراج عن السيّد الشهيد الصدر[1].

بعد ساعات من ذلك اتصل السيّد الشهيد الصدر من مديرية الأمن العامة وأخبر أهله بأنّهُ سيصل الى النجف بعد ساعات.

بعد هذا الإتصال بساعة تقريباً ـ وكان السيّد الشهيد الصدر في طريقه من بغداد إلى النجف ـ اتصل المجرم [أبو أسماء] مدير

(١) راجع كتاب سنوات المحنة وأيام الحصار ص ٢٢٠ وما بعدها لمزيد من التفصيل.

الشعبة الخامسة وطلب أن يتحدث مع السيّدة الشهيدة بنت الهدى، في هذه المكالمة الهاتفية قال لها ما هذا الضجيج والتظاهرات ضدّنا؟

فقالت له: وهل تعلم ما فعلت قوات أمنكم وهل أنت لا تعلم بإعتقال السيّد! إن الناس هرعوا للإحتجاج والإستنكار على أعمالكم وتصرفاتكم.

فقال: ليس هناك ما يوجب ذلك كل ما في الأمر إنّ القيادة طلبت أن تلتقي بالسيّد ليس إلّا وليس هناك أمر بإعتقاله.

فقالت: هل تعتبر مجيىء مدير أمن النجف في الساعة السادسة صباحاً زيارة للسيّد مع هذا العدد الكبير من القوات التي حاصرت بيتنا من اللّيل حتى الصباح.

قالت لي الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ كان هذا المجرم مضطرباً ومرتبكاً في حديثه. واعتقد أنّ السبب هو ما بلغ السلطة من احتجاجات كبيرة في النجف وغيرها من مدن العراق ارهبتها واجبرتها على الأفراج عن السيّد الشهيد الصدر وإلّا فإنّ هذا المجرم كان قد قال للسيّد الشهيد في نفس اليوم حين استقبله في مديرية الأمن العامة (سوف أقطع لسانكَ علىٰ تحديكَ ليّ) وكان ذلك قبل علمه بالتظاهرات التي نُظمت للإحتجاج علىٰ الاعتقال، وكلامه هذا كان يدل علىٰ عزم السلطة المجرمة علىٰ إعدام سيّدنا الشهيد الصدر في ذلك الإعتقال.

الحجز

وجرت الأحداث بالشكل الذي ذكرتُه في كتاب (الشهيد الصدر سنوات المحنة وأيام الحصار) فوقع الإحتجاز الظالم للسيّد الشهيد الصدر واسرته كافة.

منعوا الناس من الدخول عليه.

قعطوا الكهرباء والماء..

قطعوا الهاتف لكي لا يعلم أحد بما يجري من مشاكل ومصائب في داخل البيت.

ولم ترهب هذه الأحداث الشهيدة بنت الهدىٰ، وكانت أكثرنا حيوية ونشاطاً ولم تعرّ تلك الصعاب أهميّة قالت لي يوماً: ما أكثر الأيام التي عشتها من دون كهرباء وهاتف، عشنا وتعلمنا علىٰ ضوء المصباح النفطي، أمّا الماء فكان قليلاً نكتفي منه بما يبرد في الكوز.. أنّهُ أمر بسيط يجب أن لا نهتم به.

وكان في البيت ثلاثة خزانات كبيرة تكفي لمدّة طويلة إذا اقتصرنا منها على الشرب، ولكن من يعلم إلىٰ متىٰ سيستمر الحجز.

ثمّ قطعوا الطعام، إذ منعوا الحاج عباس ـ خادم السيّد الشهيد ـ من إيصال الطعام إلى المنزل، واستمر الحصار حتىٰ نفد كل ما في البيت، هنا قلقت ـ رحمها الله ـ ولم تُظهر ذلك علىٰ وجهها قط، إلّا

إنّها قالت لي: ماذا تعتقد إلىٰ متى سيستمر الوضع علىٰ هذا الحال؟
فقلت: إنّ المجرمين يحاولون الانتقام بقتل الجميع بأي وسيلة إلّا إن الله فوقهم.

ثمّ ذهبت في تفكير عميق ثمّ قالت:

«كم اتمنىٰ أن أموت قبلكم ولا أرىٰ أولاد أخي
يموتون الواحد بعد الآخر وأنا لا أستطيع فعل شيء
لهم، أنا ربيتُ هؤلاء».

والذي أثار الشجىٰ في نفسي إنّها نزلت إلىٰ سرداب البيت الذي يضم مقبرة لأسرة آل المامقاني تبحث عمّا إذا كانت هناك أماكن فارغة لدفن من يموت، وكانت ـ رحمها الله ـ حائرة لا تدري كيف تتعامل مع مشكلة تكاد أن تقع وهي لا تملك حلاً لها، وكانت تلك الأيام من أقسى الأيام واصعبها.

الدور النفسي

قد يكون إقناع الكبار بأهميّة تحمّل معاناة الحجز وما فيه من صعاب ومشاكل أمراً ليس صعباً، ولكن ماذا يمكن أن تفعل ازاء أطفال لا زالوا في بداية حياتهم وريعان طفولتهم، ما هو الأسلوب الذي يمكن أن تتبعه لتحتويهم نفسياً وعاطفياً وأنت تعيش في بيت يطوقه الأمن من الخارج، وتعكر أجواءه أجهزة التجسس من

الداخل، أضف إلىٰ ذلكَ الحالة النفسية التي كان يشعر بـها أطـفال السيّد رضوان الله عليه كانوا يدركون أنّهم في خـطر وفـي قـبضة أعدائهم، وقد سمعوا قـصصاً عـن قسـاوتهم ووحشـيتهم وكـيف يعذّبون المؤمنين في السجون والمعتقلات، وهـنا أوكـد إنّ أحـداً منهم لم يتململ ولم يشتك ممّا جـرىٰ له، إلّا إنّ الشـعور النـفسي ينعكس علىٰ شكل وجوم ونظرات معبّرة يفهمها الكـبار بـوضوح، فكيف يمكن معالجة هذه الحالة التي جعلت السيّد الشهيد يتمنىٰ لو إنّ السلطة حجزته وحده في سجن أو معتقل أو بيت.

وكان ممّا يزيد من همّ الشهيدة بنت الهدىٰ إحساسها بالمسؤولية التي كان السيّد الشهيد يشعر بها تجاه هؤلاء الأبرياء الذين يلتفّون حوله وهم لا علاقة لهم بكل ما جرىٰ، ولا ذنب لهم يستحقّون عليه عقاباً، كانت هذه القضية تشغل حيزاً من تفكيره كأب مسؤول عن أُسرته.

وهنا كان دور الشهيدة بنت الهدىٰ، فقد كانت بما تتمتّع به مـن مقوّمات تربوية وروحية وذكاء وحكمة تنشر اريجاً يطغىٰ علىٰ كل الهموم، وتبث فـي القـلوب إطـمئناناً يـجعلهم يشـعرون وكأنّـهم يعيشون في سعادة غامرة وحياة هانئة.

كانت تقص عليهم قصص الأنبياء والأئمة عليهم السلام، وتختار منها ما يناسب الحالة ويؤدي الغرض وتركّز عليه.

كانت تحكي لهم عمّا قاست هي في طفولتها من صعاب وضنك

في العيش وحرمان عانت منه، تمزج ذلك بدعابة وفكاهة ترسم بها علىٰ وجوههم السرور. سمعتها مرة تقول لهم كنا في زمان ما ـوكان ذلك في الأيام الأولىٰ من هجرتنا إلى النجف ـ لا نملك ثلاجة، والحر في النجف لا يطاق وكنّا نعتمد على كوز الماء فكنا نملأ الكوز بالماء ليلاً ثم نضعه على الجدار ليتعرض إلى الهواء كي يبرد في الصباح، وكانت هناك قطة ـ تكرهنا ـ فكانت في أحيانٍ كثيرة تمرّ من قرب الكوز فيسقط إلى الأرض فينكسر ونبقىٰ من دون ماء بارد، وهكذا كنا نبقىٰ نشرب الماء الحار في صيف النجف.

وبالطبع كان لها أسلوبها الشيق في الحديث وتصوير المشاهد وكأنّها مجسّمة أمام السامعين بحيث ترى السعادة تغمر قلوبهم، وتبتعد بهم عن أجواء الحجز والرعب والخوف ولو لحين.

وكانت بنفس الوقت تدفع هؤلاء الأطفال إلى الظهور أمام أبيهم بعدم التأثر والضجر من الحجز والحرمان.

ولم يكن هناك من الرغبات الشخصية للسيّد الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ في تلك الفترة أهم من أن يشعر إنّ من معه في البيت لا يحسون بضيق كبير من الإحتجاز، وكان يسعىٰ بكل وسيلة لإيجاد هذا الجو لأنّهُ لا يعلم إلىٰ متىٰ سيستمر هذا الوضع وقد يمتد إلىٰ سنوات وسنوات وهو بنفس الوقت مصمّم علىٰ عدم القبول بالحلول التي تفرضها السلطة والتي هي بطبيعتها تؤدّي إلىٰ فك الحجز، ولكن بثمن كبير لا يعادل النتيجة.

ولم يكن في البيت شيء من وسائل الترفيه تستوعب أوقات الأطفال وتبعدهم عن جو الإحتجاز فكانت الشهيدة بنت الهدى تسعى إلىٰ استيعاب أوقاتهم وخاصة في ساعات الشدّة والحرج فتراها في حركة دائبة لمعالجة هذه المشكلة. وقد نجحت نجاحاً كبيراً واستطاعت بذكاء وحكمة أن تخلق ـ نسبياً ـ جواً مريحاً للأطفال يخفّف عن السيّد الشهيد الصدر نفسه هماً لا يجد له علاجاً.

والحقيقة كان لها من الجهود والمواقف في هذا المجال ما يستحقّ الذكر إلّا إنّ الوضع النفسي كان لا يتيح للذاكرة الاحتفاظ بها فذهبت في عالم النسيان، ولم يبق منها إلّا صوراً مشوشة لا تصلح للنشر.

دور المراقبة

وكان للشهيدة دور آخر له أهميّة خاصة في تلك الفترة العصيبة، وهو دور المراقبة لما حول البيت.

كنّا في الشهر الأول من الإحتجاز نجهل كل شيء عمّا حولنا، ولا ندري ما هي الاجراءات السريّة التي اتخذتها السلطة ضد السيّد الشهيد الصدر وعائلته، ولا نعرف هل هناك منافذ يمكن أن يتسلّل منها المجرمون للعبور إلىٰ بيت السيّد الشهيد الصدر ليلاً ـ مثلاً ـ

وقتله في غفلة منا.

وهل إنّ السطلة صادرت أو تصرفت في البيوت المجاورة لبيته لغرض تشديد الحصار أو القيام بجريمة، أو تجسس ومراقبة وغير ذلك.

نجهل كل شيء تماماً.

ولم يكن بالإمكان بالنسبة لي ملاحظة هذه الأمور بشكل فعّال إذ إن مجرّد صعودي للسطح في ذلك الشهر في النهار ـ خاصة ـ خلاف المصلحة حسب تقدير السيّد الشهيد رحمه الله، وقد ذكرت تفاصيل ذلك في كتاب (سنوات المحنة وأيام الحصار).

وهنا جاء دور الشهيدة بنت الهدىٰ رحمها الله فقد كانت العين الساهرة تراقب كلّ ما يجري حول البيت، وللتاريخ أسجل إنّنا لم نلاحظ مواقف أو تصرفات سلبية ممّن كان مجاوراً لبيت السيّد الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ في تلك الفترة، ولكن كان من الطبيعي في تلكَ الظروف أن نحتاط لكلّ شيء لأن القضية بطبيعتها تتطلب ذلك.

كانت الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ تتظاهر بنشر بعض الملابس المغسولة على الحائط ومن خلال ذلك كانت تلقي نظرة سريعة على المكان الذي كانت تريد إستطلاعه، ويكون ذلك في

الليل عادة وفي النهار احياناً.

واستمرت هذه المهمة لفترة جعلتنا نستيقن أنّ لا شيء حول بيت السيّد الشهيد يشكل خطراً.

وفي خارج البيت ـ وأعني الزقاق ـ فقد كنّا نُشرف علىٰ جانب منه بشكل تام من خلال كسر صغير في زجاجة نافذة تطلّ عليه، فكنا نعرف عدد قوات الأمن وطبيعة تصرفاتهم، بل ونستمع إلىٰ اتصالاتهم اللاسلكية والأحاديث التي تجري بينهم. أمّا الجانب الثاني منه فقد كنا لا نراه وهو يحتشد بقوات أمن كذلك، تدل عليه أصواتهم فكانت الشهيدة بنت الهدىٰ تخرج بحجّة إخراج سطل النفايات فتلقي نظرة على الزقاق كلّه ثمّ تخبرنا بما ترىٰ.

وكانت لا تختار زمناً محدداً لخروجها، ففي بعض الأحيان حينما كنّا نشعر بحركة غير طبيعية كانت تخرج بنفس الحجة فتتعرّف علىٰ ما في الزقاق.

كما كانت ترد على المكالمات الهاتفية بحكمة، وقد لا يعرف البعض أهميّة هذا الدور وخطورته ولكن إذا علمنا إنّ معظم المكالمات الهاتفية كانت من قِبل مديرية الأمن العامة أو مديرية أمن النجف، وكان معظمها يستهدف انتزاع دليل يدين السيّد الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ إذ كان السؤال الذي يتردد بكثرة وهو بمضمون واحد وصيغ متعدّدة، من رجال ونساء غير معروفين لنا، هو: هل يأمر السيّد بالإطاحة بالنظام أو التظاهر؟ وأمثال ذلك.

كما كان البعض ممّن نعرف ـ وبدوافع عاطفية ـ من الرجال والنساء يتّصل مستفسراً عن صحة السيّد الشهيد وأوضاعه وما إذا كان محتاجاً لشيء. وكان البعض يذكر أسمه وهو لا يعلم إنّ كل شيء يُسجل فالهاتف تحت المراقبة، فكانت الشهيدة ـ رحمها الله ـ تتعامل مع هذه الأحداث بحكمة بالغة بحيث تضلل أجهزة الأمن حرصاً علىٰ سلامة المستفسرين.

وكانت ـ رحمها الله ـ تستمع بشكل خفي لكلّ ما يجري من أحاديث في اللقاءات التي كانت تتمّ بين السيّد الشهيد الصدر وبعض موفدي السلطة، وتهتم بأدقّ التفاصيل، وتقارن بين ما يطرح في لقاء وآخر فتستنتج من ذلك ما يتغيّر من مواقف السلطة سلباً أو إيجاباً. وكانت تُصيب في توقعاتها واستنتاجاتها.

وأنا أعتقد إنّ هدفها الحقيقي لم يكن الإستماع لما يجري من أحاديث فقط بل لأجل حماية السيّد الشهيد ـ رضوان الله عليه ـ إذ كانت تحتمل إنّ مدير الأمن أو غيره إنّما جاء لأغتيال السيّد الشهيد، وهو أمر وارد فإن الطغمة المجرمة لا أمان لها فكانت ـ رحمها الله ـ تقلق من مجيئهم، بينما كانت لا تقلق ولا تستمع للأحاديث إذا كان الوسيط من أمثال المرحوم السيّد علي بدر الدين. وهذا ما يُؤيد صحة استنتاجي عن تصرفها في هذا المجال وان كانت ـ رحمها الله ـ لا تفصح ـ غالباً ـ عن هواجسها وهمومها بشكل تفصيلي.

مقومات قيادية

كتبت عنها السيّدة وجيهة الصيدلي في جريدة المنبر ما يلي :

«ثانياً : تجربتها القيادية : لقد تبوأت الشهيدة قيادة العمل النسوي الإسلامي العراقي بكل جدارة واستحقاق ، بل يمكن القول بأنّ القيادة ذاتها تشرّفت بها ، عندما تبوأت الشهيدة موقعها الطبيعي ، والقيادة كما لا يخفىٰ عليكم ليست هي بالتعيين أو التنصيب ، بل هي فرز وانتخاب ومبايعة ، تأتي عن عمل دؤوب ومستمر لا يعرف الكلل والملل ، مع مؤهلات أخرىٰ كالثقافة والإطلاع وحسب التدبير والتصرف بما تتطلّبه الظروف ويتلائم مع الواقع . . .» .

وهذا التقييم لم ينطلق من دوافع عاطفية حرّضت السيّدة الفاضلة وجيهة الصيدلي علىٰ كتابته بل لابدّ من دوافع موضوعية كانت هي السبب الذي حرضها علىٰ هذا اللون من التقييم .

لقد كنت أخشىٰ ـ قبل أن أطّلع علىٰ هذا المقال ـ أن أتهم بالعاطفة الزائدة عن الحد لو كتبت هذا الموضوع فأنا أعرف معظم التفاصيل والوقائع التي تعزز هذا التقييم ، نعم هي قائدة في مجالها ، بل وتتمتّع بحنكة وذكاء وحكمة وقدرة عجيبة على التقييم

والاستنتاج مع حزم وقوة وصلابة، إلّا إنّها في الحجز تجاوزت الحد المألوف فكشفت عن عمق كبير لا يرقى إليه الكثير من الرجال.

كانت في بعض الأحيان بعد أن تتجمع لديها أفكار حول الأوضاع، سواء في داخل العراق أو خارجه تطرح ذلك بحضور السيّد الشهيد ـ رضوان الله عليه ـ فقد كانت تتصيّد الفرص المناسبة لتدلي برأيها تقول يجب أن نفعل هذا، وان نتجنب ذاك، وتمتد في رؤيتها إلىٰ آفاق بعيدة وواسعة وتعزز ذلك بالأدلة والبراهين.

كان السيّد الشهيد الصدر ـ رحمه الله ـ يستمع إليها بدقّة وإهتمام، وقد يكون في قرارة نفسه معتقداً بصحة ما تقول إلّا انّهُ ـ قدّس الله روحه ـ كان يرى الأمور من زاوية أخرىٰ فتختلف النتيجة في بعض الأحيان وتتفق في أحيان أخرىٰ. وقد جرت في هذا المجال أحاديث كثيرة مضىٰ وقتها ولا حاجة إلىٰ ذكرها عززت رؤيتي عن هذا الجانب من شخصيتها.

ومن الأمور التي يجب أن نذكرها عنها في هذا المجال هو إعتماد السيّد الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ في تقييم الساحة ومستقبل العمل الإسلامي علىٰ رؤيتها إجمالاً ففي الفترة التي سمحت فيها السلطة للعائلة بالخروج ـ ذكرنا تفصيل ذلك في كتاب سنوات المحنة وأيام الحصار[1] ـ كانت ـ رحمها الله تخرج كثيراً تتصيّد

---

(١) راجع ص ١٠٥ ـ ١٠٦.

الأخبار وتستجلي الموقف ثم تنقل ذلك بأمانة ودقّة.

وكانت حين تخرج من البيت يتّبعها أحد أفراد قوات الأمن إلى أن تدخل إلىٰ حرم الإمام علي عليه السلام، ثمّ يبقىٰ بانتظارها إلىٰ أن تخرج. ورغم علمي إن خروجها كان بطلب من السيّد نفسه إلّا أني لاحظت أن كثرة خروجها قد يسبب لها خطورة حقيقية فقلت لها يوماً وكان ذلك بحضور السيّد الشهيد لو قللّتِ الخروج وليكن مرة في الأسبوع أو كلّما اقتضت الحاجة والضرورة، فقالت:

أنا أعلم إن خروجي في كل يوم ليس ضرورياً إلّا إنّني أردت إن أُعلم الجميع بإنّني اتواجد في حرم الإمام علي عليه السلام فمن كان مهتمّاً بالتحرك الذي قاده السيّد يمكنه أن يبعث لي أخته أو زوجته وأكون الواسطة بينهم، وقد تكون هناك أمور هامة جداً تنفع هذا التحرك.

كما كانت تنقل أخبار الإحتجاز، والمعاناة التي تجري داخل البيت، وشيئاً من المعانات والصعوبات التي كان يعيشها الأطفال وأمثال ذلك.

وكانت تنفذ للسيّد الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ بعض الطلبات والرغبات، رغم ما كانت تحمل من خطورة بالغة.

الفصل الرابع

مواقف خالدة للشهيدة بنت الهدى

* ❋ الموقف الأول
* ❋ الموقف الثاني
* ❋ الموقف الثالث

كان للشهيدة العظيمة بنت الهدىٰ مواقف خالدة في التضحية والفداء تستحق الخلود اذكرها باختصار في هذا الفصل من المذكرات:

الموقف الأول

في فترة ما خلال الاحتجاز تمكنتُ من الخروج من بيت السيّد الشهيد ـ رضوان الله عليه ـ وقد ذكرت تفصيل ذلك في كتاب سنوات المحنة وأيام الحصار، وهذا الأمر شجّع الشهيدة بنت الهدىٰ على التفكير في الوسائل التي يمكن أن تنقذ السيّد الشهيد الصدر ـ رحمه الله ـ من مخالب المجرمين الطغاة.

فكرت الشهيدة بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ (ضمن شروط خاصة) بإيجاد ثغرة في حائط يؤدي إلىٰ بيت أحد الجيران ليتسلل منها السيّد الشهيد الصدر إلىٰ خارج البيت.

وفكّرت أن يستغل السيّد الشهيد رضوان الله عليه فترات معينة يمكن أن يخرج خلالها مباشرة من البيت إلى الزقاق بالزي العربي

(العقال والكوفية) وذلك خلال فترة انقطاع التيار الكهربائي في الليل في بعض الأحيان، أو ظرف آخر مشابه لهذا.

وطلبت مني أن اهيىء للسيّد الشهيد الصدر ـ رضوان الله عليه ـ عقالاً وكوفية بواسطة الحاج عباس، وشرطت أن أتبع أسلوباً لا يثيره ويدفعه للتسائل عن السبب.

ثمّ كانت تسألني بين الحين والآخر عمّا إذا كان هناك مكان آمن يمكن أن يختفي فيه السيّد الشهيد مدّة من الزمن حتىٰ يتسنىٰ له الخروج من العراق.

كنت أحسب أن ذلك كان بعلم السيّد رضوان الله عليه ولم يخطر ببالي أنها كانت تخطط بمفردها لانقاذه، وما من شك إنّ حرص الشهيدة بنت الهدىٰ علىٰ سلامة أخيها قد يكون في جزء من مبرراته عاطفياً، فمن للشهيدة بعده؟ هو الأخ الوحيد وهي الأخت الوحيدة، تشعر إنّ الحياة من دونه لا معنىٰ لها، والعيش من دونه بئس العيش. وليس منطقياً أن نعتبر هذه الأحاسيس والمشاعر غير منسجمه مع ما نعرف عن بنت الهدىٰ من صلابة في الإيمان، وشجاعة في المواقف، إلّا إنّني وجدت الشهيدة ـ رحمها الله ـ بعيدة المدىٰ تجلىٰ لي موقفها الإيماني التضحوي حينما طرقنا يوماً مع السيّد الشهيد رضوان الله عليه ـ وكانت تلك الأيام من أحرج أيام الحجز ـ فكرة خروجه من العراق فرفض ـ رضوان الله عليه ـ وكان يحاول أن يصرفنا عن الحديث في هذا الشأن.

كانت السيّدة الشهيدة تتصوّر أن أهم مانع من تنفيذ فكرة خروج السيّد هو العائلة، فهل يقبل الوجدان أن ينقذ نفسه ويضحي بأسرته، إنّهُ أمر لا يمكن أن يخطر بالبال. بينما كان السيّد الشهيد ـ بسبب بعض الأمور ـ قد عزّز فكرة الاستشهاد والتضحية، فلمّا وجدت منه عدم التجاوب قالت له:

«أخي إذا كنّا نحن المانع لك من ذلك فنحن والله لا نبالي، ولا تفكّر بنا، فنحن علىٰ استعداد لأن نموت من أجلك إنّ هذا طريقنا».

فرفض رضوان الله عليه وظهرت عليه علامات التأثّر العاطفية فهو يعرف حراجة الموقف من بعده لعائلة انهكها الاحتجاز والرعب والقلق ثمّ ها هي تستعد للتضحية من أجله فقال لها:

«أو بعدما استهشد السيّد قاسم شبر وأمثاله من المؤمنين أفكّر بالحياة والأمن؟ إنّ هذا اليوم يوم التضحية إنّ لديّ رؤية واضحة إنّ خياري هو الشهادة، فهو آخر ما يمكن أن أخدم به الإسلام».

ادركتُ حينها إنّ الشهيدة لم تكن تفكر بالسيّد الشهيد الصدر ـ رحمه الله ـ علىٰ أساس الروابط العاطفية والرحمية وإنّما انطلقت من دافع إيماني قوي فها هي مستعدّة للتضحية قبله راضية مطمئنة عن قناعة وثبات وعزم.



الموقف الثاني

ذكرنا في كتاب سنوات المحنة وأيام الحصار[١] فكرة القيادة النائبة وان من فقرات تنفيذ تلك الفكرة خروج السيّد الشهيد إلى الصحن الحيدري الشريف ليُعلن هناك عن تشكيل القيادة ثمّ تحريض السلطة وإجبارها علىٰ قتله في الصحن ليكون دمه مشعلاً وهّاجاً يؤجج في النفوس روح مواصلة الثورة حتىٰ إسقاط النظام.

والحقيقة إنّ الشهيدة بنت الهدىٰ كانت قد اقتنعت إنّ السيّد الشهيد سوف لن يتراجع عن موقفه الاستشهادي، وكنّا متّفقين علىٰ أن لا ينعكس ذلك على العائلة عموماً، فكنّا نتظاهر بالهدوء التام والاستقرار.

وهنا جاءت بنت الهدىٰ ـ رحمها الله ـ لتسجل صفحة نادرة من التضحية، وموقفاً من أعظم المواقف في تاريخنا المعاصر.

قالت لي ـ رحمها الله ـ: إنّ السيّد مصمّم على الخروج إلى الصحن؟

فقلت لها: نعم.

---

(١) لاحظ ص٣٠٨ وما بعدها.

قالت: أنا أخرج معه.

قلت: لماذا؟ يكفي ما قمت به يوم السابع عشر من رجب!

قالت: أعتقد إنّ استشهادي مع أخي سوف يكون له بالغ الأمر، إنّ ابن سعد إنّما لم يقتل زينب ـ سلام الله عليها ـ ليس تحرّجاً من دمّها وإنّما لأن دمها سوف يكشف بوضوح تام الحقيقة للناس، ويعرف الغافلون حجم غفلتهم وعظيم جنايتهم وتقصيرهم وأنا اليوم أريد لدمي أن يخدم الإسلام.

ثمّ قالت: أطلب منك أن لا تخبر السيّد بهذا الحديث.

قلت: لماذا؟

قالت: أخشىٰ أن يحرّم عليَّ الخروج فاقع في حرج.

واستهشد ـ رضوان الله عليه ـ وهو لا يعلم بموقف أخته هذا.

الموقف الثالث

بعد اعتقال السيّد الشهيد ـ رحمه الله ـ يوم الخامس من نيسان ١٩٨٠م سحبت السلطة كافة قواتها التي كانت تطوّق المنزل وذهبت الشهيدة بنت الهدىٰ تستطلع الموقف فلم تجد أحداً منهم.

أحست ـ رحمها الله ـ أن يوم التضحية قد جاء فذهبت إلىٰ غرفتها، فابدلت ملابسها بأخرىٰ، وربطت ثوبها علىٰ معصميها ظناً منها بأنّها ستسترها حين التعذيب وقالت لي:

«أترىٰ أن هذا يسترني حين التعذيب؟
فقلت لها: سوف لن تتعرضي للإعتقال إن شاء الله.
فقالت: والله لست خائفة فأنا انتظر هذه الساعة،
وما اسعدني إنّ استهشدتُ مع أخي، وما اتعسني ان
بقيت بعده».

ثمّ اعطتني حقيبة صغيرة فيها مجموعة من الرسائل والصور وقالت هذه مجموعة أعتبرها حصيلة عمر من الذكريات بحلوها ومرها لم أتلفها في الأيام الأولىٰ فإذا اعتقلوني فأرجو إحراقها لكي لا يقع شيء منها بيد أجهزة السلطة.

وفي اليوم التالي السادس من نيسان ١٩٨٠م بعد الظهر جاء المجرم الخبيث مساعد مدير أمن النجف المعروف بـ(أبي شيماء) فطرق الباب وحاول أن يدخل، فلم تسمح له الشهيدة بدخول الدار فقال لها: علوية إنّ السيّد طلب حضورك إلىٰ بغداد!

فقالت: نعم سمعاً وطاعة لأخي إنّ كان قد طلبني،
ولا تظن أني خائفة من الإعدام، والله إني سعيدة بذلكَ
إنّ هذا طريق آبائي وأجدادي.

فقال لها ـ كاذباً ـ: لا علوية بشرفي إنّ السيّد طلب حضورك.

فأجابته الشهيدة مستهزئة: صدقت بدليل إنّ قواتكم طوّقت بيتنا من جديد.

وكانت قوات الإجرام قد طوّقت منزل السيّد الشهيد رضوان الله عليه.

ثمّ قالت له: دعني قليلاً وسوف أعود إليك ولا تخف فأنا لن أهرب. واغلقت الباب بوجهه.

ثمّ جاءتني وقالت:

«أخي أبا علي لقد أدىٰ أخي ما عليه، وأنا ذاهبة لكي أودي ما عليَّ إنّ عاقبتنا علىٰ خير.. أوصيك بأمي وأولاد أخي، لم يبق لهم أحد غيرك إنّ جزاءك علىٰ أمي الزهراء والسلام عليك...».

وكان سبب هذا الكلام أنّهُ في الفترة الأخيرة من الحجز كان رجال الأرهاب (الأمن) حينما يسمعون حركة وأصوات الأطفال من خلال واجهة غرفة مطلة على الزقاق يقتربون من المكان ثمّ يطلقون عبارات تهديد بانتهاك العرض والإعتداء ليرعبوا مَنْ في البيت، وكانت الشهيدة قد سمعتهم كرات ومرات يهدّدون ويتوعّدون. ولم تستبعد ذلك، وهي تعلم إنّهم بقوا من دون ناصر ولا معين. وكانت لا تدري كيف تعالج هذه المشكلة، وبعد

مشاورات بيني وبينها قررت أن تطلب من السيّد الشهيد أن يتصل بأحد الشخصيات الدينية الكبيرة ويطلب منه حماية عائلته بعد اعتقاله.

لقد رفض السيّد الشهيد ذلك لأسباب لا أريد الإفصاح عنها، إلّا أنّهُ وجد إصراراً كبيراً من أخته ـ رحمها الله ـ فوعدها بذلك. وحينما اعتقل طلب من مدير الأمن أن يودع عائلته وفي هذه الأثناء اتصل هاتفياً بتلك الشخصية وأخبره بأنّهُ أُعتقل وسوف يُعدم وطلب منه أن يحمي العائلة، فرفض وقال: أنا لا أتدخل وأغلق الهاتف.

ولهذا السبب لم تجد بُداً من الاستنجاد بيّ لحماية أفلاذ الأكباد الذين قاسوا العذاب ثمّ ها هم علىٰ وشك مأساة أخرىٰ.

هذه بعض المواقف التي علقت في ذاكرتي، واظن إنّ ما ضاع أكثر.



شهادتها ودفنها

* شهادتها ودفنها

(١) شهادتها

(٢) دفنها

شهادتها ودفنها

شهادتها

الإجرام والوحشية القسوة والإرهاب صفات وخصائص النظام العفلقي الحاكم في العراق، لم يتورّع النظام من استعمال كل وسائل الإرهاب في معالجة مشاكله مع الشعب العراقي أو مع الدول المجاورة للعراق.

كنّا في السابق حينما نتحدّث عن تعذيب طفل لا يتجاوز عمره عاماً واحداً أمام والديه لإنتزاع إعتراف منهم ـ ولو كذباً ـ، نواجه باستبعاد ذلك واتهامٍ لنا بأنّنا نلفّق القصص الخيالية الكاذبة لتشويه سمعة النظام الحاكم، ويقال لنا لو كان الأمر كما تقولون لتصدت منظمة حقوق الإنسان وكشفت عن هذه الحقائق وعاقبته عليها.

وحينما كنّا نقول إنّ النظام في العراق ينتهك الأعراض ويعذب النساء في سجونه ومعتقلاته يُقال لنا لا يعقل ذلك، قدّموا لنا الدليل

وكنّا نتردّد ألف مرّة من ذكر بعض الجرائم، أو وسائل التعذيب وكيفياته لأنّها غير معقولة، ولا يمكن لأحد تصديقنا.

هل يمكن لحاكم يعيش في بلد الحضارات وفي القرن العشرين أن ينهج نهجاً قمعياً لفرض سيطرته على الشعب؟

وجاءت الوثائق الفاضحة تتوالىٰ.

قصف حلبجة بالغازات السامة (وحلبجة مدينة عراقية لا اسرائيلية) فسقط المئات من الأطفال والنساء والشيوخ. وهي موثّقة بالصور.

قصف المدن الإيرانية بالصواريخ وقتل المدنيين فيها وهي موثّقة بالصور.

ثمّ أفلام المحاكمات [للرفاق] في الحزب أو الضباط والقادة في المؤسسة العسكرية المصوّرة من قبل السلطة نفسها.

وجاءت الكويت آخر ضحية لتشهد لنا علىٰ صحّة ما نقول، فما جرىٰ لشعبها من قتل وتعذيب وانتهاكات للقيم والأخلاق وحتى لابسط المبادىء الإنسانية لا يمكن أن يُصدق لولا الوثائق الدامغة التي لا تقبل الشك.

وبقيت مأساة الشعب العراقي في جانبها الأعظم غير موثّقة، وهي مأساة لا نظير لها في تاريخ البشرية لا نقول هذا علىٰ أساس عدم قناعتنا بالنظام الحاكم بل لأنّنا عشنا المأساة وأشكال الجريمة

وأدركنا كل ذلك قبل أن تصيب النار غيرنا.

وسكت العالم كله، المنظمات الدولية، والمؤسّسات الإنسانية، ومنظمة حقوق الإنسان علىٰ جرائم النظام ومنها جريمة إعدام السيّد الشهيد الصدر وأخته المظلومة بنت الهدىٰ ـ رضوان الله عليهما ـ تلك الجريمة البشعة التي ستبقىٰ نكسة في تاريخ مؤسسات الرياء والخداع التي تسمي نفسها بمنظمات حقوق الإنسان.

لقد قام المجرم صدام التكريتي بقتل السيّد الشهيد الصدر واخته بنت الهدىٰ ـ رضوان الله عليهما ـ بنفسه فهو الذي أطلق النار عليهما بعد أن شارك في تعذيبهما. إنّ مصادر ثلاثة روت لي المأساة واتفقت علىٰ كيفية التعذيب والإعدام وهذه هي القصة كما يرويها أحد أفراد قوات الأمن ممّن كان حاضراً في غرفة الاعدام والعهدة عليه قال: «احضروا السيّد الصدر إلىٰ مديرية الأمن العامة فقاموا بتقييده بالحديد ثمّ جاء المجرم صدام التكريتي فقال له باللهجة العامية: (ولك محمّد باقر تريد تسوي حكومه). ثمّ أخذ يهشم رأسه ووجهه بسوط بلاستيكي صلب.

فقال له السيّد الصدر (أنا تارك الحكومات لكم) وحدث جدال بينهما عن هذا الموضوع وعن علاقته بالثورة الإسلامية في ايران ممّا أثار المجرم صدّام فأمر جلاوزته بتعذيب السيّد الشهيد الصدر تعذيباً قاسياً. ثمّ أمر بجلب الشهيدة بنت الهدىٰ ـ ويبدو انّها كانت

قد عُذبت في غرفة أخرىٰ ـ جاءوا بها فاقدة الوعي يجرونها جـراً فلمّا رأها السيّد الشهيد استشاط غضباً ورق لحالها ووضعها. فقال لصدام: إذا كنت رجلاً ففك قيودي. فأخـذ المـجرم سـوطاً وأخـذ يضرب العلوية الشهيّدة وهي لا تشعر بشي ثمّ أمر بقطع ثدييها ممّا جعل السيّد الصدر في حالة من الغضب فـقال للـمجرم صـدام (لو كنت رجلاً فجابهني وجهاً لوجه ودع أختي ولكنك جبان وانت بين حمايتك) فغضب المجرم وأخرج مسدّسه فـاطلق النـار عـليه ثـمّ علىٰ أخته الشهيدة وخرج كالمجنون يسب ويشتم»[١].

نعم هكذا يفعل الطغاة هذه وسائلهم وهذه جرائمهم إلّا إنّ ربك لبالمرصاد لهم ولأعوانهم وبدأنا اليوم نرىٰ أثر الدماء الزكية تهشم كيان الحكم والحاكم من حيث لا يشعرون ولا يحتسبون وسيعلم الذين ظلموا أيّ منقلبٍ ينقلبون.

دفنها

وكما ذكرت في كتاب (سنوات المحنة وأيام الحصار) ففي مساء يوم التاسع من نيسان عام ١٩٨٠م وفي حدود الساعة التـاسعة أو العاشرة مساءاً قطعت السلطة التيار الكهربائي عن مـدينة النـجف الأشرف. وفي ظلام اللّيل الدامس تسـلّلت مـجموعة مـن قـوات الأمن الىٰ دار المرحوم الحجّة السيّد محمّد صادق الصدر ـ رحـمه

---

(١) ملخص رسالة عن الراوي احتفظ بها.

الله ـ فطلبوا منه الحضور إلىٰ بناية محافظة النجف وهناك سلموه جنازة السيّد الشهيد الصدر وأخته الطاهرة بنت الهدىٰ، وحذّروه من الإخبار عن شهادة بنت الهدىٰ، ثمّ أخذوه إلىٰ مقبرة وادي السلام وواروهما الثرىٰ في مكانٍ أعرفه إجمالاً.

ذهبت شهيدتنا الغالية إلىٰ ربها راضية مرضية لتحيا عند أُمّها الزهراء، تشكو لها عذاب تسعة أشهر ما أقساها، وسياط المجرمين وتعذيبهم وما أشدّها، وتقطيع جسدٍ طاهر نذرته لرسالة جدّها ﷺ.

تشكو لها خذلان الخاذلين، وسكوت الساكتين وشماتة الشامتين، وتفرّج المتفرّجين.

ذهبت بنت الهدىٰ وبقي دمها في أعناق الجميع أمانة ما أثقلها في ميزان حساب الأمم عند الله تعالىٰ وعند التاريخ.

سلامٌ علىٰ بنت الهدىٰ يوم ولدت ويوم استشهدت ويوم تبعث حيةً. والحمد لله رب العالمين.

أنبيك بنت الهدىٰ

للأديبة الفاضلة أم تقى الموسوي

يا آمن الصدر يا اشجىٰ مراثينا
يا دمعة الحزن قد أدمتِ مآقينا
يا كوكب المجد قد زانت بمحتدها
وجه الخلود بخير الرسل منجينا
يا ثورة الآه في أعماقنا انفجرت
ولم تزل حمماً منها ليالينا
يا بسمة الصبح في آفاقنا انبلجت
بنورها الفذ في الظلماء يهدينا
يا قبسة الحق والإيمان ساطعة
يا روضة الأنس في الأحزان تؤوينا
يا قدوة الركبِ تهديهِ بحكمتها
وتنثر النفس ورداً في فيافينا
ان غاب وجهك عنا لم تزل شعلاً
هذي الوأصايا وهذا الصوت يدعونا
إلى المعالي ونجم العز ما بقيت
هذه القلوب بنبض الرشد تحيينا

يا عبقة الصخب في إمحالِنا ضحكت
فاورق القفر جناتٍ رياحينا
يا نسمة اللطف هبّت من خمائلها
عرائس الخير تزهو في روابينا
يا صنعة الدين في النسوان معجزة
بدورك الفذ قد اخزى الممارينا
كم ذاب فكرك زيتاً في مشاعلنا
وشعشع الوعي هدياً في دياجينا
وما ضعفت وكيد الشر مستعر
وما وهنت وسوط الظلم يعلونا
أنّىٰ وقلبك موصول ببارئه
في روضة القرب درسَ الصبر يعطينا
عليك مني وممّن فيكِ قد ولهت
تحية الروح يا أبهىٰ أمانينا
ما غرّد الطير فوق الغصن أو نشرت
شمس الضحىٰ شعرها التبّري يحوينا
ما حلّق الفكر والإحساس في قصصٍ
لزينب العصر فيها ريٌّ ضامينا

❊ ❊ ❊

يــا قــصة العشــق يـا أغـرودة ذُبـحت
فــي مـنحر الصـدق تشـدو ذكـر بـارينا
يـا صـيحة تـلو صـوت الصـدر صـاعقةً
تــحدّث الظـلم سـامتة البـراكـينا
يــا مــن بأنسكِ قــد ضــحّيت مـؤثرةً
رضـــا الأله ونـــصر الديــن تــبغينا
يــا مــن رعــيت ذمــار الحق صـائنةً
وعشت للـــنبل احـــييت المــوازيــنا
ســمّوك بـنت الهـدى والصـدق حـالفهم
مـا أعـذب الأسـم يـا نـور الهـدىٰ فـينا
يــا آيــة الرفــض للحوراء قـد تُـليتْ
كأمســـها اليــومَ مــضموناً وتكــوينا
يا عصمة الذيل فـي ايـدي الخـنا أُسـرتْ
يســومها الثِــمرُ والأوغــاد تــوهينا
يــا زيــنب الطــف قـد عـادت كـهيئتها
تـــزيد هـــالة وجــهِ الفــخر تـزيينا
يــا مـن حكت أُمّ عـيسىٰ فـي تـحصّنها
كأنّــها النــذر يــحكي أخت هــارونا
تــركتِ دُنــيا المــرايـا غــير عـابئة
فــانت فــي جـنة المــحراب تـزهينا

عـــفافك الفــردُ تِــهنا فــي مــعالمه
وصــبرك الوتــرُ عـند الوصـف يـعيينا

❋ ❋ ❋

يا آمـن الخـير هـذا الصـدر يشكـونا
ووحدة الصـف فـي الأطـلال تـبكينا
وذي دمــاكــم لدى النسيان قـابعة
وان تَــخِذْنا بــها عَــدْواً دكــاكـينا
وان صــــبغنا بــها للــحزن لافــتة
وان نــفخنا بــها بــوق الاسىٰ فـينا
وان قــــرأنــا بــها للــجمع تــعزية
ومادت الأرض من صرْخات بـاكـينا
وان كــــتبنا عـــنك آلافاً مـــؤلّفة
مــن الســطور وزدنـا الأمـر تـلوينا
وان نشـــرناك اســـراراً مــصوّرة
إذ ادعــــيناك أمـــراً ليس يــعدونا
وان خــــطبنا خــطاباً فــيه مــلحمة
وســاحةَ القــول خُــضناها مـيادينا
وان فـــتحنا حــصوناً فــي تــخيّلنا
وان ازلنـــا عــروشاً فــي آمــانينا

لقــد غــدا ذكــركم يــلقىٰ بدائِـلَهُ

تــنيب عــن طــيب لقـيانا تـجافينا

قميصَ عـثمانَ قـد عـادت مـظالمكم

لمــغنم السوء فـي صـولات صِـفّينا

ويــوم عسكــر قــد اجـدىٰ بـفائدة

وغــرّر النــاس فــانقادوا مــواليـنا

صبراً على الظـلم فـالاطهار قـدوتكم

تــجرعوا الكأس للآهـات مشـحوناً

❋ ❋ ❋

انــبيك بـنت الهـدىٰ قـد سـاء حـاضرنا

يــا لهــف نـفسي عـلىٰ أيـام مـاضينا

كــنا جــميعاً وكــان القــلب مـتحداً

فــي مــنهج الصـدر تـخشانا أعـادينا

الروح واحـــدة والســـعي مشــترك

والصـــدق يــغمرنا والحب يــؤوينا

إذا اشــتكى الداء مــنا واحـد سهرتْ

له العـــــيون كأن الداء يــــؤذينا

وان دهى الخطبُ مـن أصـحابنا أحـداً

رأيـــتنا كــلّنا والخـطب يشــجينا

ومن عجيب صروف الدهر محنتهُ
قد داهمتنا وفيها الله يبلونا
يرى الصدوق من المكذوب باطنهُ
وطالب، الطين ممّن يبتغي الدينا
يمتاز فيها ذوو الأخلاص في فتن
هي الغرابيل من شوبٍ تصفّينا
الدرب يا رب معروف بشوكته
ومنذ بدْرٍ بهذا الفخر تحبونا
فيه العقابيل لا يجتازها بطلاً
إلّا صليب فؤادٍ عاش مأمونا
وانصف الناس من نفس ومن رَحِمٍ
وجاهد النفس لم يقفُ الشياطينا
وقاوم الظلم لم يبخل براحته
ولا بدر همه قد نابذ الهونا
وعاش في شعبه ساواه في شظفٍ
كدأب حيدرة الكرار هادينا
لم يسكن القصر مأخوذاً ببهرجه
لم يطلب الأسم والعنوان مفتونا
لم يجمع المال مأنوساً ببهجته
لم يلبس السندس الخدّاع مأفونا

لم يـملأ البـطن مشـغولاً بـبطنته
وحـوله الجـوع قـد هـدّ المسـاكـينا
لم يـلف فـي نـفسه فـضلاً يـميّزه
عـمّن سـواه وإن حـاز العـناوينا
إلّا عـناء التـصدي وهـو مكـرمة
لطـالب الأجـر أجـراً ليس مـمنونا
وليس يـقنع أن يـدعىٰ أمـيرهم
ولا يـواسـيَهم فـي الفـقر تسكـينا
(إليك عـني) هـي النـهج القـويم لمـن
يـؤمُّ سـاحتنا بـالزهد مـقرونا



نداء ورجاء

إلىٰ كافة الأخوات المؤمنات ممّن لهنّ ذكريات مع السيّدة الشهيدة بنت الهدىٰ أو لديهن رسائل أو وثائق بخطها تزويد المؤلف بها علىٰ أمل الإستفادة منها في الطبعات اللاحقة لهذا الكتاب أو حفظها وصيانتها من الضياع، والله ولي التوفيق.

المؤلف

العنوان:

جمهورية إيران الاسلامية

قمّ المقدّسة ـ ص.ب ٣٧١٨٥/٩٩٧

تلفون: ٧٣٥٩٢٠

فاكس: ٧٤٢٨٩٥